الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف –المسيلة-

كلية العلوم الانسانية والعلوم الإجتماعية

قسم الفلسفة

العنوان :

الفكر السياسي عند القديس أوغسطين

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إعداد الطالبة:
بلخير حفصة

إشراف الأستاذ:
أرفيس علي

السنة الجامعية: 2017/2016

الإهداء

اهدي خلاصة جهدي وسهري في الإعداد والتحضير والبحث إلى **أمي وأبي** اللذين ظللاني بعطفهما وغمراني بحنانهما منذ نعومة اضافري , فلهما الفضل الأكبر بعد الله سبحانه و تعالى فيما وصلت إليه وكان دعمهما المتواصل اكبر حافز لي لمواصلة دراساتي العليا

واهديها **لزوجي العزيز** الذي اخذ بيدي لأكمل المشوار

كما اهديها إلى كل **إخوتي وأخواتي** وأولادهم

اشرف*إياد*سيف*منال*علي*ملك*أنور*أمينة*رأفت

والى كل الأقارب وصديقتي الغالية هاجر والى كل من قدم لي يد المساعدة من قريب أو بعيد.

بلخير حفصة

شكرا وتقديرا

الشكر أولا لله عز وجل واحمده كثيرا على توفيقه في إتمام هذه الرسالة .

ثانيا يشرفني أن أتقدم بالشكر والامتنان لأستاذي الفاضل **ارفيس علي** الذي أعانني في حسن اختيار موضوع الرسالة وتمهيد الطريق ,وتقديم النصائح والتوجيهات , فله خالص الشكر و عظيم التقدير

كما أتوجه بالشكر إلى الدكتور **عبدالمجيد مسالتي** على كل جهده المبذول في مساعدتي

والى قسم الفلسفة من أساتذة وطلبة

مقدمة

مقدمة:

تعد مسالة الفكر السياسي من أمهات المسائل الفلسفية، لان الفكر السياسي هو فلسفة ونظرية سياسية تقوم على دراسة موضوعات سياسية كالحرية والعدالة والملكية والحقوق والقانون، ويشير غالبا إلى الرأي العام، ويمكن دراسته باعتباره احد فروع العلوم السياسية، كما نجد أن الفكر السياسي هو كل ما يصدر عن العقل الإنساني من أفكار وأراء ونظريات ووجهات نظر تتعلق بعالم السياسة وظواهره وقضاياه .

إن التطور الذي عرفه الفكر السياسي الأوروبي الحديث لم يأت فجأة بل مر بعدة مراحل في تكوينه انطلاقا من الفكر السياسي اليوناني الذي هو نتاج طبيعي لبيئته بمعنى إن بيئة المفكر (زمانا ومكانا وثقافة) لها تأثير حتمي على فكره سواء كانت اجتماعية أو جغرافية أو سياسية، ولم يقتصر الفكر اليوناني على الأفكار السياسية فقط بل قدم العديد من الإسهامات في الرياضيات والفلسفة وغيرها . كما نجد أن الفكر في اليونان كان عبارة عن فلسفة حرة، أي لا تتقيد بقيود العقيدة الدينية . وان الفكر السياسي اليوناني لا يظهر لنا ظهورا واضحا متميزا قبل القرن السادس قبل الميلاد . وكان منبعا للفكر السياسي الغربي حيث كان لأفلاطون دور كبير في منهجه، بالإضافة إلى انه لم يشهد قمة نضجه إلا على يد أرسطو كما هو الحال في معظم الجوانب الفلسفية والعلمية الأخرى .

انطلق الفكر السياسي من الفكر اليوناني مرورا إلى الفكر السياسي الروماني ،إذ كان بمثابة العصر الذي استمدوا أفكارهم من المفكرين اليونان وخصوصا أفلاطون وأرسطو، وبالتالي فالفكر الروماني في مجمله كان فكرا سياسيا أصيلا وهو مانلاحظه في أدبيات المدرسة الرواقية التي كانت تعد التجسيد الرئيسي للفكر السياسي الروماني . وإذا كان اهتمام المفكرين اليونان على الجانب النظري فان الرومان كان اهتمامهم بالجانب العملي المتمثل في كيفية قيام الدولة وتنظيمها وتوسيع دائرة نفوذها والعمل على تحقيق قوتها وعظمتها . انصب اهتمام الرومان على مجال القانون وهم أول من صاغوا قانون عملي يوصف بأنه أبو القوانين الأوروبية .

أما في العصور الوسطى فيمكن القول بان الفكر السياسي فيها عبارة عن فلسفة مقيدة بالعقائد الدينية، أو عقائد دينية مقيدة بقيود المنطق والتفكير الفلسفي فكأنما كانت الإنسانية تهدف في هذه المرحلة المتوسطة من تاريخها بين القديم والحديث، إلى الجمع بين مما تعلمه من اليونان من وجوب إخضاع كل الأحكام للمنطق، وما ورثته عن الأمم الشرقية القديمة ولا سيما مصر وبابل واليهود والفرس من معتقدات لم تقر بعجز العقل، وتلجا الى استعطاف القوى الإلهية المسيطرة على الكون عن طريق الاستسلام والتقوى والعبادة . كما كان يعرف العصر الوسيط بعصر الضلام كما كان يسميه البعض، ونجد هذا العصر هو عصر من عصور التاريخ الأوروبي سميت بهذا الاسم نظرا لأنها توسطت العصور القديمة والعصور الحديثة، والحدث التاريخي الذي يشكل بداية العصور الوسطى هو سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية عام 476م، أما اكتشاف كريستوف كولمبوس لأمريكا فيعتبر نهايتها وسميت ايضا بعصور الضلام . ومن اهم فلاسفة هذا العصر نجد القديس أوغسطين كان من ابرز الفلاسفة المسيحيين ,

والإشكالية التي نحاول معالجتها من خلال هذه الدراسة وهي على النحو التالي : كيف أسس أوغسطين فلسفته السياسية ؟.

وتندرج تحت هذه الإشكالية العامة جملة من التساؤلات :

_ ما هي المسيرة الفكرية للقديس أوغسطين ؟.

_ وكيف اثر العصر اليوناني والروماني عليه ؟.

_ وعلى ماذا تقوم نظريته السياسية ؟.

_ وكيف قسم أوغسطين مدينته ؟.

*ومن الأسباب التي دفعتني لاختيار الموضوع هناك أسباب موضوعية منها:

العصر الوسيط، عصر الظلام ،سقوط الإمبراطورية الرومانية، السلطة، الكنيسة، العدالة، الخ .كل هذه المصطلحات نجدها في العصر الوسيط وكانت هذه المصطلحات راسخة في أذهاننا من خلال مطالعتنا للكتب والحضور للندوات والملتقيات .

وأهمية الموضوع والطريقة التي بنى بها أوغسطين أفكاره هي الفترة التي ظهر فيها والتي سميت بعصر الضلام .

وأسباب ذاتية تتمثل في :

حبي للاطلاع على العصر الوسيط وبالخصوص الفكر السياسي عند القديس أوغسطين

وللإجابة عن الإشكالية وما يتفرع عنها من مشكلات جزئية تم تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاث فصول وخاتمة .

المقدمة اشتملت على تمهيد للموضوع المطروح للتمكن من الدخول في مضمون البحث، وإشكالية لتحديد أهمية الموضوع وأهدافه، وعرض لأهم عناصر الموضوع، والمنهج المتبع في الدراسة، إضافة إلى مجموعة من المراجع والمصادر المعتمدة في البحث، وختاما بأهم الصعوبات التي واجهتنا في البحث .

الفصل الأول: عالجنا فيه الخلفية الفكرية لرؤية أوغسطين السياسية في ثلاث مباحث حيث كان المبحث الأول يندرج تحت عنوان مفهوم الفلسفة السياسية تناولنا فيه الفرق بين الفلسفة السياسية وعلم السياسة والفرق بين الفلسفة السياسية والفكر السياسي، أما المبحث الثاني فكان بعنوان حياة القديس أوغسطين ونشأته من خلال رصد أهم المحطات في مسار تكوينه الفكري وبحثه عن الحقيقة التي نقلته من شاب طائش إلى المانوية ثم انتمائه إلى الشكاك التي أخذته إلى الأفلاطونية ومن خلال هذه المراحل وجد نفسه أمام العقيدة المسيحية أي اهتداؤه .والمبحث الثالث تناولنا فيه تأثير العصر اليوناني (أفلاطون أنموذجا) على أوغسطين، والعصر الروماني (شيشرون أنموذجا) ،

الفصل الثاني : عالجنا فيه الفلسفة السياسية للقديس أوغسطين في ثلاث مباحث حيث كان المبحث الأول تحت عنوان أصل السلطة وطبيعتها والمبحث الثاني كان بعنوان طبيعة المجتمع المدني والمبحث الثالث بعنوان مفهوم العدالة والدولة .

الفصل الثالث : عالجنا فيه المدينتان والتباين بين الدين والسياسة في مبحثين، المبحث الأول بعنوان مدينة الله والمبحث الثاني المدينة الأرضية ومن ثم انتقلنا إلى أخر نقطة وهي العلاقة بين مدينة الله والمدينة الأرضية

وأخيرا ختمنا بحثنا بخاتمة تضمنت حوصلة للنتائج الجزئية التي توصلنا إليها من خلال البحث.

ومن خلال هذا اعتمدنا على منهجين المنهج التحليلي والمنهج المقارن، فالمنهج التحليلي يظهر في البحث جليا من خلال تبسيط الأفكار وتفكيك الإشكالية إلى مشكلات جزيئه وتفكيكها إلى عناصر جزئية، كما يظهر في تحليل نصوص القديس أوغسطين .أما المنهج المقارن فاعتمدته في دراسة الفرق مدينة الله والمدينة الأرضية والعلاقة بينهما .

واعتمدنا في بحثنا على مجموعة من المصادر والمراجع بالإضافة إلى مجموعة من المعاجم والموسوعات، نجد المصادر تتمثل في مصدر مدينة الله بمجلداته الثلاث ومصدر الاعترافات.

أما المراجع فكانت متنوعة منها من كانت منفردة بالقديس أوغسطين مثل كتاب لاهوت التاريخ لزينب محمود الخضيري وكتاب علي زيعور اوغسطينوس وكتاب أوغسطين فيلسوف العصور الوسطى لكامل محمد محمد عويضة وكتب أخرى مثل الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم لابراهيم مصطفى إبراهيم ومدخل إلى الفلسفة السياسية لمحمد وقيع الله احمد، بالإضافة إلى مجموعة من المعاجم والموسوعات منها المعجم الفلسفي لجميل صليبا والموسوعة الفلسفية المختصرة لفؤاد كامل وموسوعة عبد الرحمن بدوي .

ومن الصعوبات التي وجهتنا في البحث نجد :

صعوبة فهم بعض الأفكار وبالخصوص أقواله، وكثرة المراجع واختلاف المعلومات في بعض الأحيان التي يصعب علينا اخذ النقاط المهمة وهذا يأخذ مدة طويلة في دراسة الموضوع .

وفي الأخير نقول ونؤكد أن هذا العمل مجرد محاولة لا ندعي فيها الكمال، بل حاولنا من خلالها الوقوف على سمات الفكر السياسي للقديس أوغسطين

الفصل الأول :

الخلفية الفكرية لرؤية أوغسطين السياسية

المبحث الاول : مفهوم الفلسفة السياسية

المبحث الثاني : أوغسطين (حياته ونشأته)

المبحث الثالث : الفكر اليوناني والروماني

وأثره في الفكر أوغسطين

تمهيد:

لا شك أن العصر الذي يعيش فيه الفيلسوف بالغ الأثر على تفكيره ، لذا تطرقنا في الفصل الأول إلى المرجعية الفلسفية المسيحية ، لأوغسطين ، وهذا الفصل كان بمثابة باب حاولت فيه تقديم نظرة عن مفهوم الفلسفة السياسية وعلم السياسة والفكر السياسي والفرق بين الفلسفة السياسية وعلم السياسة من جهة وبين الفلسفة السياسية والفكر السياسي من جهة أخرى بالإضافة أيضا إلى الفكر الروماني واليوناني وأثره في فكر أوغسطين وتأثير المسيحية عليه.

المبحث الأول: مفهوم الفلسفة السياسية.

لتعريف الفلسفة السياسية لا بد من تعريف الفلسفة أولا والسياسة ثانيا.

أولا: تعني الفلسفة بأوسم معانيها حب الحكمة أو حب البحث عن الحكمة وتقصي جذور الحقائق العليا، وطبيعتها، والعلاقات التي تربط بعضها ببعض وذلك إثارة الأسئلة الكبرى في شأنها، وإعمال العقل في محاولة الاجابة عن تلك الاسئلة.[1]

أي أن الفلسفة مركبة من جزأين هي فيلو بمعنى حب وسوفيا بمعنى الحكمة أي أنها تعني حب الحكمة وليس امتلاكها والحكمة تعني العدم أو العمل والتي تصل إلى أعلى جذور الحقائق.

كما يقول ديكارت[2*] "أن الفلسفة أشبه شيء بشجرة جذورها علم ما بعد الطبيعة وجذعها

[1]– محمد وقيع الله احمد ،مدخل الى الفلسفة السياسية: رؤية اسلامية، ط1، دار الفكر ، دمشق، برامكة ، 2010 ، ص ص 39، 40.

[*]– ديكارت:Descartes (1596_1650) ولد في قرية لاهي lahya بمقاطعة التورين la toraine[2] في فرنسا كان ابوه مستشار البرلمان بريتاني ومن مؤلفاته:العالم ،مقال عن المنهج،ينظر:ابراهيم مصطفى ابراهيم ،الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم ، (د.ط)، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ،اسكندرية ،د:س ،ص 69.

علم الطبيعة وأغصانها العلوم الأخرى كالطب وعلم الميكانيكا وعلم الأخلاق"[1].

يقصد ديكارت من خلال هذا القول أن الفلسفة تشبه الشجرة جذورها تمثل القوة المحركة للعالم أي علة العلل ونبحث في الموجودات اللامادية أي في حقائق الأشياء لا في ظواهرها، وجذعها يختص بدراسة الخصائص الفيزيائية الطبيعية والمادية وغير البشرية لجميع الظواهر الطبيعية التي تحدث في الكون مثل الحرارة والبرودة والرطوبة والجفاف.

وبتعريف ادق فالفلسفة هي البحث النظري في العلاقات المنطقية التي تربط بين الافكار المستخدمة في فهم بعض اجزاء الحقيقة وفي خلال البحث النظري تتولد في ذهن الفيلسوف مجموعات من الأفكار الكلية والنظرات القيمية المعيارية التي تضع القواعد والمقاييس المثالية لتركيب المجتمعات الإنسانية وتدل على ما يجب أن يكون عليه حال تلك المجتمعات.[2]

أي بمعنى أن الفلسفة هي تحسين فهمنا في العلاقات المنطقية التي نحتاجها في فهم بعض أجزاء الحقيقة ومن خلال فهم الموضوع تتولد في ذهن الفيلسوف مجموعات من الافكار السلبية والنظرات القيمة المعيارية والتي تعني هذه الاخيرة اقحام وجهة النظر الخاصة في موضوع البحث فلا تصبح الدراسة موضوعية مجردة كما في دراسة العلوم الطبيعية وأنها خليط من النظر الموضوعي المتجرد والذاتي المشبع بالآراء الخاصة.

ثانيا: السياسة politique: هي ما يخص تدبير شؤون الدولة أو الحكومة ومعرفة مصالحها وكيفية ادارتها بما يخدم مواطنيها ولذلك نجد أيضا من يعرفها بأنها: "فن الممكنات وتدبيرها حسب مصالح الجماعات ومتطلبات العصر ومنافسات الأمم الأخرى"[3].

[1]– جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، (د.ط)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982م، ص 160.

[2]– محمد وقيع الله أحمد، المرجع السابق، ص 40.

[3]– علي عبود المحمداوي, الفلسفة السياسية، ط1، دار ومكتبة عدنان، بغداد ، 2015م، ص 19.

كما تستخدم أيضا للدلالة على تسيير أمور أي جماعة وقيادتها ومعرفة كيفية التوفيق بين التوجهات الإنسانية المختلفة والتفاعلات بين أفراد المجتمع الواحد. والسياسة فرع من العلم المدني بحيث في أصول الحكم وتنظيم شؤون الدولة أول من عني به من فلاسفة اليونان أفلاطون في كتابه "الجمهورية" وأرسطو في كتابه "السياسة" وعنى به من فلاسفة الإسلام الفارابي في المدينة الفاضلة ومن المحدثين هوبز في كتابه التنين، ويعتبر ارسطو واضع الأساس للنظريات الحديثة عن الحكم وخاصة في تمييزه بين مختلف صور الحكومة ونظم الدولة.[1]

1- مفهوم الفلسفة السياسية:

هي ذلك الفرع من فروع الفلسفة الذي يركز بحثه حول اكتشاف الحكمة والحقيقة المتعلقة بالمبادئ الأصولية للحياة السياسية، ومعرفة علاقات هذه المبادئ بعضها ببعض، وعلاقات المبادئ السياسية بمبادئ الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وبتعريف ادق يقدمه لنا العالم السياسي الهندي "فارما" تعني الفلسفة السياسية "توليد وترتيب الآراء، والمعلومات، والتأملات، والبديهيات، والافتراضات، والقواعد، والتعميمات المتصلة بتوزيع واستخدام القوة في المجتمع" . أي شؤون الحكومة، وتعيين مهامها وتحديد سلطاتها، وتأصيل المبادئ والغايات الكبرى للمجتمع السياسي.[2]

تعود الفلسفة السياسية للرغبة في التفكير في ما تطرحها الحياة السياسة من مشكلات تستعصي على الفهم والحل وتطرح دائما الفلسفة السياسية أسئلة عن الدول والحكومات والسياسات المتبعة فيها، عن الهيئات العامة والخاصة. والفلسفة السياسية تعني نتيجة لذلك

[1]- ابراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، (د.ط) ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة، 1983م، ص 99.

[2]- محمد وقيع الله احمد، المرجع السابق، ص 40.

البحث عن التنظيم السياسي الأكثر عقلانية أي التنظيم الذي يستطيع أن يؤدي بالإنسان إلى السيطرة على القوة وتوجيهها إلى تحقيق أغراض ايجابية تخدم المجتمع والإنسان.[1]

2- مفهوم علم السياسة:

هو الدراسة التي تتصل بالسلطة أو بحكومة الجماعات، أي دراسة العلاقة بين الحاكمين والمحكومين وذلك في إطار مختص هو الدولة، ولذلك فعلم السياسة يدرس السلطة داخل هذه التجمعات المركبة والتي تتضمن في عادتها مجموعات متداخلة مع بعضها كالحزب السياسي والدولة والمنظمة الدولية.[2] أي بأنه العلم الذي يقوم بدراسة الحكومات والمؤسسات وعدد من السلوكيات والممارسات التي يقوم بها السياسيون وان العلم يهتم بدراسة الية الحكم والمؤسسات السياسية وأنه يهتم بدراسة جميع النشاطات السياسية للأفراد.

علم السياسية فأنه يجب أن يركز على دراسة طبيعية الحياة الخيرة كما تظهر في المدن اليونانية، ويمكن التوصل إلى ذلك من خلال تفهم تجربة هذه الحياة إلى جانب نقد وتمحيص ومناقشة القوانين والنظم السياسية المختلفة التي شجعت على ظهور هذه المدن.[3] أي علم السياسة يركز على دراسة الحكومة أو الدولة وينصب الاهتمام هنا على قواعد مقررة ومقبولة توصف بأنها شرعية.

ومن خلال المفهوم السابق لكل من الفلسفة السياسية وعلم السياسة نستنتج أن هناك فرق بينهما يتمثل في:

---

[1]- مختار عريب، الفلسفة السياسية من المفهوم الكلاسيكي إلى البيواتيقا، (د.ط) ، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الابيار – الجزائر، 2009، ص 35.

[2]- علي عبود المحمداوي، المرجع السابق، ص 20.

[3]- محمد علي محمد، علي عبد المعطي محمد، السياسة بين النظرية والتطبيق، (د.ط) ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، 1985م، ص 15.

فالمعروف أن الفلسفة ، إنما هي بحث عقلي في مشكلات الإنسان عموما وهي لا تلتزم بالواقع إلا بقدر ما يحقق الانطلاق العقلي نحو حل مشكلات هذا الواقع، ومن هنا كان الفرق بين الفلسفة والعلم يكمن في غلبة الطابع المعياري على الفلسفة بينما يغلب الطابع الوصفي على العلم.[1]

وهكذا تكون الفلسفة السياسية في طبيعتها الأصلية ذات طابع معياري ، يبحث فيما ينبغي أن تكون عليه العلاقة بين البشر، حاكم ومحكوم داخل المجتمع السياسي، وبحث فيما ينبغي أن يحكم هذه العلاقة من قوانين، بينما تركز العلوم السياسية على وصف ما هو كائن في هذه المجتمعات السياسية وبحث أشكال السلطة القائمة والبحث في أفضل أنواعها ومدى ملائمة هذه الأنواع للظروف السياسية والاقتصادية والبيئة التي يعيشها البشر في مجتمع معين.[2]

ومن خلال هذا نرى أن هناك فرق بين علم السياسة والفلسفة السياسية، فعلم السياسة علم وصفي تحليلي يقوم فيه عالم السياسة بوصف النظم السياسية المختلفة وتحليل الفروقات بينها، بينما الفلسفة السياسة يقوم فيها فيلسوف السياسة بتجاوز الوصف والتحليل، والتفسير إلى رسم صورة ما ينبغي أن يكون عليه حال الدولة، لان العلم دراسة وصفية تجريبية بينما الفلسفة دراسة معيارية، كما نجد العلم يدرس الجزئيات والفلسفة دراسة للكل.

2- مفهوم الفكر السياسي:

الفكر السياسي يتزامن مع حياة سياسية معينة، ورجالات معينة ولا يعني الفكر السياسي دوما ذلك البحث القيمي أو الفحص والنقد من اجل المثال أو القيمة الفضلى للممارسة السياسية، بل هو منتج داخل حياة سياسة معينة ممن أولئك الرجال أو النساء،

[1]- مصطفى النشار، تطور الفكر السياسي القديم من صولون حتى ابن خلدون، ط1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1999، ص 22.

[2]- المرجع نفسه، ص 22.

ويعني الفكر السياسي الإطار التاريخي لمجموعة فلسفات سياسة. وقد تبين الحد مع الفكر أو التفكير السياسي.[1] أي يعتبر الفكر السياسي فلسفة ونظرية سياسية تقوم على دراسة موضوعات سياسة كالحرية والعدالة، والملكية، والحقوق، والقانون، ويمكن دراسته باعتباره احد فروع العلوم السياسية.

ومن خلال المفهوم السابق لكل من الفلسفة السياسية والفكر السياسي نستنتج أيضا أن هناك فرق بينهما يتمثل في:

إذا كنا قد عرفنا الفلسفة السياسية من قبل، وقلنا أنها تعتمد على التحليل العقلي في المقام الأول، إلا أن الفكر السياسي يتسع لأكثر من ذلك إذ يشمل الاعتماد على مصادر معرفية أخرى من بينها الوحي السماوي والمسلمات التقليدية الاجتماعية، والمباحث العلمية التجريبية، ومن المفكرين من يخوض في القضايا ذاتها التي يخوض فيها الفلاسفة السياسيون، إلا أن هؤلاء المفكرين يمزجون التعاليم الدينية مع النظريات العقلية مع تجارب المجتمعات البشرية، مع المباحث العلمية التجريبية، ليقدموا لنا من خلاصة ذلك فكرا يتماشى مع الواقع الإنساني الذي اهتموا بوضع الحلول المثلى لمعضلاته.[2]

[1]– علي عبود المحمداوي، المرجع السابق، ص 16.

[2] د. محمد وقيع الله احمد، المرجع السابق، ص 44.

المبحث الثاني: أوغسطين(حياته ونشأته)

ولد القديس أوغسطينوس في 13 تشرين الثاني (نوفمبر) 354م، في طاغستا، المدينة الصغيرة في مقاطعة نوميديا، المعروفة اليوم باسم سوق أهراس في الجزائر على بعد حوالي 180 كلم شرق قسنطينة و 100 كلم جنوب عنابه، أنه روماني من إفريقيا، ولد القديس أوغسطين مواطنا رومانيا واسم عائلته "اوريليوس Aurélius"[1]

كان القديس أوغسطين لاهوتي وفيلسوف مسيحي واحد أبناء الكنيسة الكاثوليكية، كان أبوه وثنيا، بينما كانت أمه – مونيكا – مسيحية ، درس أوغسطين النحو في تاغست، والفنون الحرة في مدور، والخطابة في قرطاجة سنة 370 ويضيف أوغسطين احواله في تلك السنة.[2] وهو في سن السادسة عشر من عمره فيقول: "في السادسة عشر من عصري عجز والدي عن سد النفقات المترتبة عني فاضطرت إلى مغادرة المدرسة، وما اني لزمت بيتي حتى تعالت اشواك الشهوات فوق راسي وما من يد لتقتلعها".[3]

رحل أوغسطين إلى قرطاجة بعد عام تقريبا في كفالة احد أقربائه بعد أن كان ابوه قد توفي بعد قليل، وهنا بدا حرصه على التعليم، لكنه في الوقت نفسه أحسن بالرغبة في أن يجب وان يكون محبوبا ، فنعم بلذات الحب عاشقا ومعشوقا، وفي هذا الصدد يقول أوغسطين: "وصلت إلى قرطاجة فراحت مراجل الهوى الأثيم تهدر حولي، ولم أكن عاشقا بيداني كنت أصبو إلى الحب واكره أن أكون متأخرا في هذا المضمار، وبحثت وان المتيم، عمن أحب واهوي"[4].

---

[1]– هنري – ايرينيه مارو، القديس اوغسطينس والاوغسطينية، تر: سعد الله سميح جحا، ط1 ، دار الشرق، بيروت_ لبنان، 2007، ص 11.

[2]– عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، ج1، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، 1984، ص 247.

[3]–أوغسطين، الاعترافات، تر: الخوري يوحنا الحلو، ط4، دار المشرق، بيروت، لبنان ، 1991، ص 32.

[4]– المصدر نفسه، ص 41.

كان أوغسطين متشبعا بالأدب اللاتيني فلم تعجبه لاتينية الكتاب، وكان متعلقا بالدنيا ومتاعها، ودفعه طموحه صوب روما، فانشأ فيها مدرسة للبيان، وفيها هو في ذلك عرض للمسابقة منصب أستاذ للبيان في ميلانو ففاز به، قصد إلى مقره الجديد، واخذ يختلف إلى الكنيسة الكاثوليكية ويستمع إلى عظات أسقف المدينة، القديس امبرواز وكانت تدور على شرح الكتاب المقدس والرد على المانويين وغيرهم من المبتدعة.[1]كان القديس امبرواز يعرف بالشخصية التي غيرت حياة القديس أوغسطين وصنعت نقطة الانعطاف التي حولت مساره جذري وبشكل مختلف عما كان عليه من قبل.

طبع أوغسطين بطابع الفلسفة الوسيطية، كما نستطيع القول بأنه طبع بطابعه ذلك العقيدة المسيحية عينها، فهو قد منهج المعتقد الإيماني، ونظر بتمذهب، واخذ في بنية عامة شتى ما هو ديني، وبذلك شكل ايدولوجية، وخط وجهة عمل ومسار، وقدم العقيدة الدينية في جيمعاوية محكمة البيان، تلك هي الأوغسطينية إنما مزيج من الأفلاطونية والمسيحية أو من أفلاطون والكتاب المقدس فقد جمع صاحبهما بين الثقافتين اليونانية واللاتينية ومن خلالهما رأى النصوص الدينية فهمها وفهمها.[2] نرى بان المسيحية في عصر القديس أوغسطين شهدت انتشار وازدهار واسعين على الصعد البشرية والاجتماعية والروحية والفكرية ، كان هذا العصر بمثابة العصر الذهبي أي العصر الذي اغني الفكر المسيحي بفلاسفته الكلاسيكيين والقديس أوغسطين عاصر الكثير من أباء الكنيسة سواء كان من دم اليونانيين أو اللاتينيين وحاول المزج بين هاتين الثقافتين.

أوغسطين رغم أنه كان فيلسوف الإيمان ولاهوتي إلا أنه بذل جهدا في إعطاء المسؤولية الشخصية التي كانت لها أهمية أولى وفعالية مؤثرة، ولم يل إلى هذه المرحلة إلى بعد مراحل عديدة كان فيها دور العقل والفكر هو الأول والأساس وان الإيمان عند أوغسطين

[1]– يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط ، (د.ط)، دار هنداوي، القاهرة، مصر ، 2012، ص 25.

[2]–جونو وبوجوان، تاريخ الفلسفة والعدم في أوروبا الوسيطية، تر: د على زيعور على مقلد، (د.ط) ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، 1993، ص 273.

لم يكن حركة عفوية بل كان لها سوابق ومكتسب، كلفته هذه العملية سنوات طويلة من التفكير والتعب والمشقة، والمراحل التي كانت محطات مساره الفكري تتمثل في:

المرحلة الأولى: بحثه عن الحقيقة في الكتاب المقدس.

نجد القديس أوغسطين في كتابه الاعترافات يقول أنه كان متحمسا اشد الحماس لبلوغ حقيقة يقينية، فهو تناول الكتاب المقدس وهو في التاسعة عشرة ، فلم يجد فيه مبتغاه إذ بدا له أسلوب الكتاب غامضا، و صدمته المفاهيم التشبيهية في العهد القديم حيث يجري الكلام... وقال أوغسطين عن الكنيسة أنها صبيانية، وفيها سذاجة وسطحية أو بساطة عقل، أما تعاليمها فأشبه بقصص امرأة عجوز، ثم هي قاهرة وسلطوية، ولتتذكر أن أوغسطين كان آنذاك ما يزال غارقا في رغائبه العنيفة ، مهتما بإشباع غرائزه ومتعه الحسية.[1]

عندما أراد القديس أوغسطين دراسة الكتاب المقدس في صف الخطابة اكتشف أن أسلوب الكتاب غامض وصعب عليه فهمه لان الكتاب كان في العهد القديم ووقع في المفاهيم التشبيهية كانت قراءة "هوزنانسيوس" بمثابة "النار" التي استعرت في داخله والتي احيت فيه الزخم الروحي والرغبة في الخدمة والحقيقة أي حب الفلسفة فكان أول احتكاك للقديس أوغسطين بالفلسفة من خلال كتاب "هوزتانسيوس" ودليله في كتابه يقول: "لكن محبة الحكمة تدعى في اللغة اليونانية فلسفة ، ومطالعة ذلك الكتاب اشتعلت في حب الحكمة"[2] ويقول أيضا: "واحذروا أن يسلبكم احد بالفلسفة والغرور الباطل حسب سنة الناس، على مقتضى أركان العالم لأعلى مقتضى المسيح، فأنه فيه يحل كل ملك اللاهوت جسديا"[3](كولوسى 2: 8- 9).

[1]–جونو وبوجوان، المرجع السابق، ص 278.

[2]–أوغسطين، المصدر السابق، ص 45.

[3]– المصدر نفسه، ص 45.

يرى القديس أوغسطين أنه تعلق بالفلسفة من خلال كتاب "هوزتانسيوس" لأنه قبل قراءته لهذا الكتاب كان يدرس الفصاحة ويتوق إلى النجاح والتفوق على أقرانه تحقيقا لرغباته وشهواته، لكن الحكمة أي الفلسفة أثرت على نفسيته وتحولت حياته رأسا على عقبا، وكان كل ما يقود للحكمة متوجه للمسيحية التي كانت بالنسبة له لا تمثل شيء سوى كون أمه مسيحية، اطلاع القديس أوغسطين على الفلسفة حثه على استطلاع الكتاب المقدس لكنه وجد الكتاب المقدس لا يستحق القراءة واضاعه الوقت يقول في ذلك: "وعزمت على مطالعة الكتب المقدسة وهاك ما وجدت فيها: وجدت مالا يقوى الكبار على اكتناهه ولا الصغار على كشف غوامضه، وجدت بابا ضيقا ووطيئا ينفتح على مرتفعات عدة وقد اسدل عليه ستار من الأسرار ولم اقو على الدخول منه ولا على احناء راسي لاجتيازه."[1]

المرحلة الثانية: بحثه عن الحقيقة في المانوية.

يفي القديس أوغسطين في المانوية* تسع سنوات (373 – 383) وكان اعتنقها شغفا بالعقلانية التي فيها، إذا كان المانويون يعتمدون على براهين عدة عقلية في هجومهم على الكتاب المقدس، ويهزاون من القصص الواردة عن الأنبياء كما كانوا يلجاون في بحوثهم للعقل والأدلة لا إلى الإيمان...وطيلة الفترة التي أمضاها أوغسطين في المانوية بقي في درجة السماع إذ هو لم يرتفع إلى درجة المجتبين[2].

أوغسطين واجه عند اعتناقه المانوية صعوبات كثيرة منها إصرار المانويون على تقديم براهين ضد الكتاب المقدس والسخرية من مضمونه، لأنهم كانوا بدل اللجوء إلى الإيمان

[1]– أوغسطين، المصدر السابق، ص 46.

*– المانوية: manichéisme مذهب ماني فارسي عاش في القرن الثالث للميلاد وعمل على التوفيق بين المسيحية والزرادشتية قال أن للعالم مبدأين :النور وهو مبدأ الخير والظلمة وهو مبدأ الشر، ينظر: جميل صليبا ،ج2 ، المرجع السابق ، ص 314.

[2]–جونو وبوجوان، المرجع السابق، ص 278.

ذهبوا إلى أدلة عقلية ومنهجية وحاولوا إقناع أوغسطين بأنهم هم ممثلو المسيح الموجود في العصر القديم.

يرى أوغسطين أن المانويين كانوا بفرضون الثقة بهم والاطمئنان اليهم بحكم الصرامة في عاداتهم والشظف غي تقاليدهم وأعرافهم، كما كان للمانويين كتب كثيرة، قراها أوغسطين بعناية. لكنه. بقي مستمعا، إذ رفض أن ينخرط في المختاري رغم أنهم عرف خفاياهم واطلع على كتاباتهم السرية، وشارك في احتفالاتهم الاختلافية[1].

كما نجد القديس أوغسطين قد ارتضى من المانوية بشكلها العام: منهجها، والمبدآن الموجهان للعالم (مبدأ الخير، ومبدأ الظلمة)، واعتبار الله جسما منيرا والنفس جسما لطيفا، وعدم جواز قتل الحيوان، كما لا حظ أوغسطين النواحي الكثيرة اللامقبولة في المانوية[2]. رغم قراءة أوغسطين كتب عديدة للمانويين إلا أنه بقي مؤمن ومتمسك بالكتاب المقدس بعدما اكتشف كل شيء لكنه رضي ببعض الأمور التي تخص المانوية واتهم المانوية بأنها غير عقلانية لا تشبع العقل لان العقل كان هو السبب الذي أبعده عنها وتركها.

نجد أوغسطين في هذا المذهب قد اكتفى باعتناق الكثير منه، فقبل الشكل المجمل لقد أعجب بالمنهج العقلاني الذي كانوا ينادون به، لا بالمحتوى اخذ منهم مثلا أن الشر هو ابدي كالخير، وان هذا الأخير يشكل مملكة النور بينما يشكل الأول مملكة الظلمات، وان العالم مكون من امتزاج عناصر النور الخمس بعناصر الظلمة الخمس، وان الله جسم مضيء، وان النفس جسم غير مرئي ولطيف رقيق، إلا أنه مادي وممتد وان للأشجار روحا تتألم، ويعطي مثال بشجرة التين تبكي عندما تقطف ثمرة عنها.[3] في هذه الفترة بدا أوغسطين يتألم مع هذا المذهب وأعجب به وقسم العالم إلى مبدأين.

---

[1]– علي زيعور، اوغسطينوس، ط1، دار اقرا ، بيروت_لبنان ، 1983 ، ص 124.

[2]–جونو وبوجوان، المرجع السابق، ص278.

[3]– المرجع نفسه، ص 125.

كان القديس أوغسطين ماديانيا، متأثر بالمانوية بل وبالأبيقورية والرواقية، انتقل فيما بعد إلى أقصى الطرف من السلم، إلى الفلسفة الروحية. لقد وصف المانوية. بعد تركه لها بأنها لا عقلية، وان مباحثها النظرية صبيانية الطابع، وان العقل الذي دعاه لاعتناقها هو الذي جعله ينفعل عنها، موقفه ازاء العقل رغبته في العدم وسيطرة الفكر، وشغفه باليقين والحقيقة، هذه هي الخميرة التي ولدت التحولات الاوغسطية وقامت بدور المحرك للرقي الأوغسطيني في معارج البحث عن الحقيقة[1].

المرحلة الثالثة: المذهب الشك(الشكاك).

من الأسباب التي دفعت بالقديس أوغسطين إلى النظر في الحقيقة لدى الفيزيائيين لدى الفلاسفة الشكاك هو معرفته بعدم قداسة المختارين المانويين وعدم فعالية نظرياتهم الأخلاقية وغيرها من الأسباب الأخرى." عرف القديس أوغسطين المذهب الشكي (الشكاك) من خلال كتاب المقالات الأكاديمية لشيشرون*، وفي ثلاث سنوات يشك في كل شيء، ولا يوافق إلا بعد أن يظهر له اليقين التام، لكن الحقيقة عنده دائما كانت بعيدة المنال، وبقي الأكاديميين أصدقاءه، لكنه لم يسايرهم في شكه في العلوم المضبوطة[2]. أوغسطين كان يشك في الاشياء المبهجة الغامضة التي لا يفهمها لكنه لم يشك مثلا في أن 4+1=5 والا في وجود الله، وبقي محافظا على كل شيء.

كان أوغسطين ينظر إلى شيشرون كيف عرض أراء الشكاك وحججهم ببلاغة قوية بعد أن نبذ المانوية، في كل شيء واحتفظ بنزعة عدم الموافقة على رأي ما أو بعادة عدم ترك الشك مادام لا يلوح له اليقين ولكن اعتناق القديس أوغسطين للشكانية شاملا لم يكن إيمانه

[1]– جونو وبوجوان، المرجع السابق، ص 126.

*–شيشرون:(106_43 ق م) فقيه وسياسي وكاتب روماني وأعجب شيشرون بما في الرواقية من مثل عليا نبيلة لكنه لم يكن على تعاطف مع ابيقور من مؤلفاته: "عن الجمهورية" و"في الخطابة" ' ينظر: فؤاد كامل وآخرون ، الموسوعة الفلسفية المختصرة ، مر، واش: زكي نجيب محمود ،(د.ط)، دار القلم ، بيروت_لبنان ، د:س ، ص 277

[2]–جونو و بوجوان، المرجع السابق، ص 278.

بهذا المذهب مطلقا ولا مرتبطا بكل الأمور والمسائل فهو لم يشك معهم في العلوم المضبوطة، ولم يشك أيضا ببعض المسائل الماورائية.[1]

كما نجد تتلمذه على المذهب أي شكه في طبيعة الله، وطبيعة النفس ومصدر الشر و أساس الحقيقة، لم يكن هو أيضا تتلمذا تاما، فهو لم يوافق على كل ما لديهم وإنما مال إلى العقيدة الاحتمالية التي يخدمها عند شيشرون فقال: "كنت اعتقد أنه كان لمعظم الفلاسفة أراء في (أكثر احتمالا من رأي المانويين حول أفكار كثيرة) لكنه لم يركن إلى الاحتمالية ركونا تاما فغل شيشرون بل يبدو أنه تبناها كمرحلة مؤقتة لا بد من تخطيها، كان تعطشه لدرك الحقائق ولليقين يمضه، وكان يبحث عن الدغماطية واليقين التام بحمية.[2]

نجد أن القديس أوغسطين اندفع إلى الشكانية بتأثير ميله العلمي والعقلاني (رغم ثقافته الأدبية المعروفة) إذ ثار على المانوية باسم العلم والعقل.ولم يلبث أن ثار أيضا على تحوله الجديد هذا فانتقد، في "مدينة الله" تناقضات الفيزيائيين، لم يقرا الشكاك اليونان، إذ اكتفى بما وجده لدى شيشرون، لقد قلد إلى حد ما وانتفع من الاكاديميين دون أن يبني مذهبهم برمته، في هذه الأثناء كان يلتقي بالقديس امبرواز، أسقف ميلانو، حيث ستحصل الخطوة الحاسمة في تطوره الفكري وطالما أهمل الباحثون دراسة تأثره بهذا الأسقف.[3]

المرحلة الرابعة: بحثه عن الحقيقة في الأفلاطونية المحدثة.

نجد في اكتساب السابع من الاعترافات أنه حصل من يد إنسان متعجرف على بعض الكتب الأفلاطونية المترجمة إلى اللاتينية وأنه قرأ منها لا بنفس المفردات وإنما ما معناه "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله هذا كان في البدء عند الله، كل به

[1]– علي زيعور، المرجع السابق ، ص 127.

[2]– المرجع نفسه ، ص 128.

[3]– المرجع نفسه ، ص 129.

كون، وبغيره لم يكون، فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس، والنور يضيء في الظلمة لم تدركه"[1].

كما أثارت فيه هذه الكتب التي سبق ذكرها حماسا بالغا، بل أنه رأى أن قراءتها جاءته نعمة من الله لكنه، كما جعله في المراحل السابقة، لم يؤمن طويلا بالفلاسفة الأفلاطونيين، لم يرضى لا بنظريتهم في الشر ولا بنظريتهم في الزمن ولا برأيهم في خلق العالم ، وإنما عدل في هذه الآراء أو نقحها على ضوء أخر، مستقره الأخير، لقد وجد أن الأفلاطونية المحدثة تمثل الإنسان على أنه عقل فقط، وان هذا العقل يكفي نفسه بنفسه، أي أن الإنسان هو مقياس نفسه، ومقياس كل ما هو موجود فكل شيء يعود اليه، ولن يقبل أوغسطين هذه النظرة للإنسان التي تراه كعقل، وكاف لنفسه بنفسه.[2]

المرحلة الخامسة: بحثه عن الحقيقة في المسيحية الأفلاطونية (الاهتداء).

درس القديس أوغسطين الكتاب المقدس في سن التاسعة عشر كم تحول إلى المانوية حيث بقي تسعة سنوات ثم ألقى عصا ترحاله الفكري وهجرته في دنيا الأفلاطونية المحدثة، وبعدها في الأفلاطونية المسيحية أو المسيحية الأفلاطونية معا، كما يقول في كتاب الاعترافات أنه كان يتلهف على بلوغ اليقين والاستقرار عند حقيقة يطمئن إليها، وأثناء ذلك كانت تتوطد علاقته مع أمبرواز الذي كان يملأ الفكر ويستغل المفكرين والمؤمنين وتلك الصلات الوثيقة أدى إلى قيام تفاهم بين الصديقين حول كثرة من الأفكار والعقائد، وذلك سهل انتقال أوغسطين رويدا رويدا إلى المسحية[3] . إن التحولات الفكرية التي مر بها أوغسطين أثرت على حياته وكل مرحلة اكتشف فيها أشياء جديدة، ومن خلال علاقته مع

[1]– علي زيعور ،المرجع السابق، ص 129.

[2]– المرجع نفسه، ص ص 129. 130.

[3]–جونو وبوجوان، المرجع السابق، ص 279.

القديس امبرواز أدت إلى انتقاله إلى المسيحية رويدا رويدا فأصبح يعتقد أن الحقيقة ليست هي نتاج العقل فقط ولا هي من براهين وأدلة منطقية.

آمن القديس أوغسطين بالمسيحية ، وخضع للإيمان،كأنه تعب من السير، فاستسلم للدين وكان دائما يطرح التساؤل التالي :هل الإيمان ناتج عن تعب فكره أو منجزه من البحث؟ هل استسلم عقله وسلم فكره ، وأطاع؟ لا بد من موقفه إزاء الإيمان هو موقف ركون أو خضوع أو استسلام، بل هو بالعكس موقف رجاء وأمل في الفرح، أنه دعوة للبحث والعمل، لم يوفر أوغسطين أن يكون إيمانه نوعا من الرهان الأعمى، أو نوعا من الضن أو التخمين المرتكز على الصدفة والحظ[1]. من خلال هذا كله نجد أن القديس ألقى بنفسه داخل أحضان الكنيسة المسيحية وقبل الإيمان بعقل وتفكير واضح .

هنا كان تحوله إلى المسيحية واضح، لأنه ذكر في كتابه الاعترافات على الصفحات مثيرة تسمع فيها نبضات قلبه، ويشعر بعواطفه وانسيابها:القلق والرغبة في الاستقرار تنازعاته وبتجاذبه من جهة البدن، فيشده إلى عالمه المحسوس ومن جهة ثانية كان يسمع نداء الروح ورجع صوت العالم السماوي وكانت آلامه تزداد والنزعات الثانية على مسرح وعيه[2].

من خلال هذا الاهتداء للقديس أوغسطين عن حاله الجديد سمعت به أمه فخرجت وشعرت بغبطة، ثم راحت تبحث له عن زوجة، وتغيرت أفكار أو أوغسطين ومعتقداته وسلوكاته هنا، وفي الأخير نجد أن أوغسطين "قد شرع في تفهم المسيحية على ضوء ما اهتدي إليه من فلسفة وكان يؤول هذه الفلسفة على ضوء المسيحية، ولقد ذهب بعض الباحثين إلى الأفلاطونية هي التي قادته إلى المسيحية، والحقيقة أنه كان قد آمن بالمسيحية

[1]– علي زيعور، المرجع السابق، ص 131.

[2]– المرجع نفسه ، ص 131.

بناء على علامات وأدلة، وأن رسائل أفلاطونية أفادته في حل مشكلات عقلية كانت تحول بينه وبين فهم المسيحية كما يجب أن تفهم[1]

كما نتطرق إلى أشهر مؤلفات القديس أوغسطين نجد أنه بدأ كتبه بعد قراءة الكتب الأفلاطونية فكان أول ما عالج مسألة اليقين، لأنه اعتبرها المسألة المقدمة على سائر المسائل، وهذا موضوع كاتب "الرد على الأكاديميين " ثم نظر في "الحياة السعيدة" ودون كتاب بهذا الاسم، ونظر في "خلود النفس" فوضع كتاب "أخلاق الكنيسة الكاثوليكية وأخلاق المانويين" ،وكتاب "في سعر التنوين ردا على المانويين" وكتاب في "الحرية" ،ومن ثم ألف كتاب "الاعترافات" حوالي سنة 400 و كتاب "الثالوث" سنة(400- 416)،وأخيرا كتاب "مدينةالله" بدأه سنة 413 وفرغ منه ستة 426 خصص المقالات الاثني عشر التالية لتاريخ العام ومغزاه[2].

[1]- كامل محمد محمد عويضة، أوغسطين فيلسوف العصور الوسطى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993، ص 30.

[2]- يوسف كرم، المرجع السابق، ص 28.

المبحث الثالث: الفكر اليوناني والروماني وأثره في فكر أوغسطين.

مما لاشك فيه أن القديس أوغسطين كان من أكثر المفكرين المسيحين تأثرا بالأفلاطونية التي بدت كما لو كانت تشكل جزءا من المسيحية، وهو ما المح إليه كثير من الباحثين المسيحيين وغير المسيحيين، وذلك من اجل أعلاء قيمة الأفلاطونية القديمة والجديدة على سواء التي كان لأقطابها ادوار مهمة ومؤثرة في رحلة أوغسطين واعتناقه المسيحية ثم الدفاع عنها.[1]

وكما أنه لا يمكن تفضيل القول في حقيقة العلاقة بين المذهب الأوغسطيني والمذهب الأفلاطوني، لأنه من الثابت أن أفلاطون* كان أكثر فلاسفة اليونان اقتراب من الفكر الديني المسيحي وبين العديد من الآراء الفلسفية لدى أفلاطون.[2].

ومعنى هذا أنه من الرغم من وجود علاقة بين القديس أوغسطين والفيلسوف افلاطون الذي كان اكثر فلاسفة اليونان اقترابا من الديانة المسيحية إلا أنه يجب الاعتراف بوجود خلافات بين الديانة المسيحية وبين الآراء الفلسفية لدى أفلاطون

ولكي يستطيع توضيح هذه المسالة، فانه يمكن الإشارة إلى أن أوغسطين كان يؤمن بان الأفلاطونية تشكل جزءا من جوهر المسيحية، مما يجعلنا نعتقد بوجود علاقة بين الأفلاطونية والفكر الديني، ومما يؤكد ذلك أن أوغسطين قد افتتن بأفلاطون حتى أنه كان يلقبه باسم "نصف الإله" ولم يمتنع عن أن يكون أفلاطونيا بعد أن صار مسيحيا.[3]

---

[1]– د إبراهيم محمد تركي، مدخل إلى الفلسفة المسيحية في أوروبا إبان العصر الوسيط ، (د.ط)، دار شتات للنشر والبرمجيات ، مصر..ص163

*– افلاطون: platon (427 ق.م – 347 ق.م): فيلسوف يوناني قديم واحد عظماء الفلاسفة الغربيين ولد في أثينا في عائلة ارستقراطية أطلق عليه بعض شارحيه "لقب أفلاطون الإلهي" ومن مؤلفاته: المادية أو في الحب، الجمهورية أو في العدالة، ينظر الى: د. مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د.ط، 2012م، 1433هـ، ص 76.

[2]– إبراهيم محمد تركي، المرجع السابق، ص 163.

[3]– المرجع نفسه ،163

وتتضح نزعته الأفلاطونية في العديد من كتبه التي كان من أهمها كتابه "في الثالوث" وفي هذا الكتاب استطاع أن يقدر مدى نزعته أوغسطين الأفلاطونية وتأثيرها فلقد كان أوغسطين يقدر الفكرة الأفلاطونية عن التفرقة بين عالم المثل (وهو العالم الروحاني المعقول) وعالم الأشباح (وهو العالم المادي المحسوس) ،لأنه توجد في الكتاب المقدس تفرقة بين ملكوت السموات وملكوت الأرض وبين الروح والجسد.[1]

وهنا نرى بان أوغسطين تتضح نزعته الأفلاطونية في كتابه "في الثالوث" في هذا الكتاب بين مدى تأثيره بأوغسطين خاصة في التفرقة بين عالم المثل الذي هو عالم الجن أو الملائكة المذكورة في الكتب السماوية لأنه توجد اختلافات بين الروح والجسد.

كما تأثر أوغسطين بأفلاطون في القول بخلود النفس مرددا نفس حججه وذلك فضلا عن النزعة اليوتوبية*. التي ظهرت في كتابه "مدينة الله" التي تأثر فيها أوغسطين بأفلاطون من حيث الإطار العام فقط، وان اختلف معه في بعض المسائل التي كان من أهمها اعتقاد أفلاطون يتعدد الالهة وبان الطبقة الممتازة في المدينة الفاضلة هم الفلاسفة وحدهم إلى غير ذلك من المسائل التي كان لا بد لأوغسطين أن يختلف فيها مع أفلاطون.[2]

نرى بان تأثير أوغسطين بأفلاطون كان في حججه في خلود النفس ولكن كان له بعض الاختلاف في المسائل عديدة منها اعتقاد أفلاطون بتعدد الآلهة عكس أوغسطين وبان الطبقة الممتازة في المدينة الفاضلة هم الفلاسفة وحدهم وكان هناك بعض المسائل أيضا لابد لأوغسطين أن يختلف فيها عن أفلاطون.

[1]– إبراهيم محمد تركي، المرجع السابق، ص 164.

*– اليوتوبية: ماهي إلا تصورات خيالية للمجتمع الثالي، تلك التصورات التي يصعب تحقيقها على ارض الواقع وربما مستحيلا، ينظر: ابراهيم محمد تركي، المرجع السابق، ص 207.

[2]– المرجع نفسه، ص 207.

كان القديس أوغسطين مهتما بالاتجاه الأفلاطوني، سواء كان ظهر لدى أفلاطون حيث تأثر ببعض الآراء الأفلاطونية إلا أنه في مقابل ذلك لم يقبل من هذا الاتجاه تلك الآراء التي تخالف العقيدة المسيحية، حيث قام بتنفيذها والرد عليها الأمر الذي يؤكد القول بان القديس أوغسطين كان من أكثر المدافعين عن العقيدة المسيحية كما أنه كان من اكبر ممثلي الفلسفة المسيحية في أوربا إبان العصر الوسيط.[1]بالرغم من تأثر أوغسطين بأفلاطون وببعض الآراء الأفلاطونية إلا أنه في مقابل ذلك القديس أوغسطين من هذا الاتجاه الآراء التي تخالف العقيدة المسيحية حيث قام برفضها والرد عليها، وكان اكبر ممثلي الفلسفة المسيحية.

نرى أن أوغسطين تصور أن النفس جوهرا مفكرا تاما بذاته وبهذا فأنه يميل إلى رأى الأفلاطونية بهذا الصدد، ويرى أن النفس موجودة في الجسم بأكمله ويقرر الفصل التام بين الجسم والروح ويحاول أن يجد دليلا على أن هناك وجود جوهر وسط عن طريقه يتم الاتصال بين الجسم والروح حتى يستطيع الواحد أن يؤثر في الأخر.[2]

وينتقد أوغسطين قول الأفلاطونيين بان المادة هي الشرور لما يعتريها من فساد وبالتالي فان النفس تخطئ بسبب الجسم والحواس بقوله: "إن الجسم في الحقيقة يثقل النفس، ولكن الأدنى لا يحكم الأعلى وليس فساد الجسم سبب الخطيئة ولكنه نتيجتها والعقاب عليها والدليل على هذا أن الإرادة علة الخطيئة"[3] ويقصد هنا أن الأشياء التي يتحملها الجسم تثقل النفس وأنه نتيجة الخطيئة والعقاب عليها يسبب فساد الجسم.

بعد قراءة أوغسطين الكتاب الذي يناقش فيه أفلاطون خلودا للنفس قال: "أنه ألقى بنفسه من على حائط كي ينتقل من هذه الحياة إلى حياة أخرى، أفضل بحسب اعتقاده على

[1]– ابراهيم محمد تركي: المرجع السابق، ص 167.

[2]– اشرف حافظ ، معالم الفكر الأوروبي في العصر الوسيط، ط1، دار طبية للنشر والتوزيع والتجهيزات العلمية، القاهرة ، 2004، ص 48.

[3]– المرجع نفسه، ص 55.

أن ذلك لم يحدث على باس أو مصيبة ولا بسبب جرم كاذب أو حقيقي يثقل عليه، مأمن شيء دفعه إلى الموت وإلى تحطيم ربط الحياة الحاضرة لا شيء سوء قلب كثير"[1]

ومن خلال هذا القول يقصد أوغسطين أنه كان متأثر جدا بعد قراءة كتاب أفلاطون الذي قال فيه بان أفلاطون أراد الانتقال من الحياة التي يعيش فيها إلى حياة أخرى أفضل حسب اعتقاده خير من تأتيه مصيبة أو يتهموه كذبا وكل من أنتجه قلبه الكبير.

إن رأي أوغسطين في طبيعة الموجودات إنما هو رأي فلسفي صرف، فقد أقامه على التفرقة بين الصورة والهيولى، فكان يذهب إلى ما ذهب إليه أفلاطون من أن الهيولى هي سبب الصورة ثم خالف أفلاطون عندما ذكر أنه كان للمادة وجدودا فهي قادرة على قبول الصورة لأنه إذا كانت الهيولى هي أساس الوجود فأنها لا تعني وجود الحقيقي، أما طبيعة الأشياء نفسها فقد رجع القديس أوغسطين بصددها إلى التفرقة المشهورة بين الصورة والهيولى وفهمها على نحو أفلاطوني[2]. ومن خلال هذا نرى انه يمكن الفصل بين الصورة ويعني بها جميع صفات الشيء من لون ولمعان وجمال وقبح...الخ . الهيولى التي تعني المادة أي فذهب أوغسطين إلى أن المادة في سبب للصورة فأوغسطين كان في بعض الأحيان يساند أفلاطون في أفكاره وأحيانا أخرى يخالفه.

فقد اخذ عن أفلاطون رأيه الذي ذكره في "طيماوس" والذي يفيد أن الهيولى لا تكاد تكون شيئا وليست الهيولى غير الصورة عارية عن الكم وعلى هذا فان أرادنا أن نفهم ماهية المادة فقد وجب علينا أن نجردها من الصورة وعلى هذا النحو وحده يمكن أن نفهمها وبغيره لا يمكن تصورها فتصورنا لها اذن سلبي خالص من حيث أن الهيولى سلب للصورة.[3]

نجد أن أوغسطين تأثر بأفلاطون واخذ عنه رأيه الذي ذكره في محاورة طيماوس الذي يقول فيه أنه إذا أردنا نفهم ماهية المادة فقد وجب علينا أن نجردها من الصورة التي نفهمها وإلا لا يمكن تصورها.

---

[1]– أوغسطين ، مدينة الله ،تر: يوحنا الحلو ،ج2 ، ط2 ، دار المشرق ،بيروت_لبنان ، 2006، ص 42

[2]– إبراهيم محمد تركي ،المرجع السابق ، ص ص 184 ، 185.

[3]– نفسه، ص 185.

وكما نجد أوغسطين اخذ أيضا من الأفلاطونية المحدثة فكرة التفرقة بين الهيولى الجسمانية والهيولى الروحانية أن صح التعبير، فالهيولى الجسمانية هي الهيولى الخاصة بالكائنات غير الحية إلا أنه لا يمكن أن نفهم من هذا أن أوغسطين يفكر وجود المادة ويعتبرها عدما كما قال أفلاطون، غير معنية غامضة لا تدرك في ذاتها بل تدرك بالاستدلال فقط، وكل ما نعقله عنها موضوع التغير، أو المكان والمحل الذي تحصل فيه الصورة المعينة، وعلى هذا فان الهيولى مبدأ للوجود وليست وجودا حقيقيا ولهذا نراه بغيتها بأنها المحبة للوجود أي أنها ليست الوجود الحقيقي.[1]

ومن هنا نرى أن أوغسطين أخذ من الأفلاطونية المحدثة نفس الفكرة التي أخذها من أفلاطون وهي التفرقة بين الهيولى بجسمانية والهيولى الروحانية إلا أن أوغسطين لا يفكر وجود المادة ويغيرها عدما بل أنها يجب أن ندرك بوجود أدلة وبراهين كما قال أفلاطون ولهذا يراها أن هيولى مبدأ للوجود وليست الوجود الحقيقي يتضح أن أوغسطين في مسالة نشأة الموجودات كان حريصا على أن يظل مسيحيا وعلى أن لا يخالف الدين، فقد اخذ من الفلسفة كما اخذ من الدين مع مراعاة لن لا تخالف الدين وبذلك يمكن أن تعد هذه المسالة نموذجا للتوفيق بين الفلسفة الأفلاطونية والسجانة المسيحية.[2]ويقصد هنا بان على الفيلسوف أن لا يخلط بين الدين والفلسفة يبقى مسيحيا على أن يخالف الدين وان أوغسطين اخذ من الدين كما اخذ من الفلسفة وبهذا تعد هذه المسالة نموذجا لتوفيق بين الفلسفة أفلاطون وديانة أوغسطين.

ومن الواضح أن كتاب "مدينة الله" يبين عمق تأثر أوغسطين بنظرية أفلاطون في الدولة، وان لم يتفق معه على طول الخط نظرا لتمسكه بعقيدته المسيحية فمما لاشك فيه أن نظرية أفلاطون في الدولة القانونية تعد من الآثار الخالدة في التراث الحضارة الإنسانية،

[1]– عبد الرحمن بدوي، فلسفة العصور الوسطى، ط3، وكالة المطبوعات، الكويت، دار الحكم، بيروت– لبنان ، 1979، ص 29.

[2]– إبراهيم محمد تركي، المرجع السابق، ص 187.

ويرجع هذا إلى عدم ارتباطها بأحوال تاريخية في البقاء بعد انهيار الحياة اليونانية واستطاع أوغسطين بعد ذلك بسبعة قرون تناول المشكلة وهي في نفس حالتها كما تركها أفلاطون، وعنوان كتاب القديس أوغسطين ذاته مستعار من أفلاطون.[1] يقصد هنا أن أوغسطين في كتابه "مدينة الله" بين فيه عمق تأثره بأفلاطون في نظريته في الدولة وأنه أحيانا يخالف أفلاطون لتمسكه بديانته المسيحية وأنه كتابه مستعار من أفلاطون.

تأثر أوغسطين بالفكر الأفلاطونية عن الدولة القانونية التي كانت ترى أن مهمة رئيس الدولة الأساسية هي المحافظة على العدالة، وبالرغم من اتفاقه معها إلا أنه نتيجة لتحول المثل الأفلاطونية عنده إلى الذات الالهية أصبح متعذرا عليه تقبل أو تصوره فكرة العدالة في صورة الشخصية مجردة بل لقد رد كل الأفكار الأخلاقية والسياسية كفكرة العدالة والمساواة إلى مصدر الهي شخصي، فلا وجود لأي قانون بغير متسرع، وبهذا أصبحت كل القوانين الأخلاقية والسياسية عنده تكشف عن إرادة شخصية هي إرادة الله وحده.[2]

تشكلت عقيدة أوغسطين بعدة مصادر ن بينها المصادر الأفلاطونية السياسية التي هي معروف أن فكرة الله الواحد، مصدر كل وجود وكل سلطة، هي فكرة أفلاطونية وكذلك هي أيضا النظرية التي ترى العقل مبدا العدالة والقانون ومثلها أيضا نظرية العناية الالهية التي تنظم مجرى الحوادث فهذه الفكرة من أفلاطون أخذها عنه أوغسطين عبر افلاطين.[3]

لم يكن أوغسطين متأثر بالعصر اليوناني فحسب بل كان متأثر كذلك بالعصر الروماني أي بالفيلسوف شيشرون، لان أوغسطين لما كان في الثامنة أو التاسعة عشر من

[1]– إبراهيم محمد تركي، المرجع السابق، ص ص 209 ، 210.

[2]– المرجع نفسه، ص 212.

[3]– علي زيعور، الفلسفة في أوربا الوسيطية وعصري النهضة والإصلاح، (د.ط)، المكتب العالمي للطباعة والنشر والتوزيع، 1998، ص 186.

عمره، عثر على نسخة من كتاب شيشرون*. المعنون بمحاورة "هورتنسيوس" في عكف على مطالعتها ويظهر أن هذه المحاورة المفقودة حتى اليوم كانت بمثابة نقطة تحول في حياة أوغسطين فهي المحاورة التي ولدت في قلبه على حد وصفه في كتاب الاعترافات.[1]

لم يكتف أوغسطين بمطالعة محاورة "هورتنيسيوس" قرأ مؤلفاته شيشرون الأخرى منها كتاب الجمهورية حيث يقول أوغسطين: "ذلك هو المقطع من الكتاب الرابع من الجمهورية الذي لشيشرون، وقد رأيت واجبا عليا استخراجه حرفيا مع بعض التغيرات والاقفالات الطفيفة تسهيلا لفهمه، لأنه مهم جدا بالنسبة إلى موضوعي ويتبعه توسعا في الموضوع"[2] يقصد هنا أوغسطين بعد قراءته لكتاب الرابع من الجمهورية لشيشرون وجب عليه أن سيتخرج هذا الكتاب حرفيا، لكن أضاف عليه بعض التغيرات والاقفالات الطفيفة لكي يستطيع فهمه لان أوغسطين رأى أن هذا الكتاب مهم جدا أو يخدم موضوعه.

إن صياغة شيشرون الرومانية لتلك الفلسفة كما وجدت في مؤلفي شيشرون "الجمهورية" و"القوانين" والى حد اقل في أعمال أخرى مثل "في طبيعة الآلهة" و"عن التنبؤ بالغيب" ولذلك فان تأثير أوغسطين السياسي، في الصورة التي يقدم فيها نفسه هو تفكير شيشروني بصورة مباشرة أكثر من أن يكون أفلاطونيا.[3]

في المضمون والتعبير، رغم أن مؤلفا "شيشرون" "الجمهورية" و"القوانين" في حالة مشوهة ولم يبق من الكتب السنة التي شملها هذان المؤلفان في كل حالة إلا اقل من النصف، وعلى الرغم من الصعوبة التي سببتها هذه الفجوة، فأنه يبدو أن فكر أوغسطين

*–شيشرون: (106 – 43 ق.م): فقيه وسياسي وكاتب روماني وأعجب شيشرون لما في الرواقية من مثل عليا نبيلة لكنه لم يكن على تعاطف مع ابيقور ومن مؤلفاته "عن الجمهورية " وفي "الخطابة" ينظر الى: فؤاد كامل وآخرون، الموسوعة – الفلسفية المختصرة، مر: و اش: د زكي نجيب محمود، دار الحكم، بيروت، لبنان، (د.ط)، د.ت، ص 277.

[1]–جاريث ب.مايثوز، أوغسطين، ط1، تر: ايمن فؤاد زهري، دار أفاق للنشر والتوزيع، القاهرة ، 2013، ص 33.

[2]–أوغسطين، مدينة الله ، تر: يوحنا الحلو، ج2 ، ط2 ،دار المشرق ، بيروت ، لبنان ،2008 ، ص 73.

[3]–ليوشترواس وجوزيف كروبسي، تاريخ الفلسفة السياسية، تر: محمود سيد احمد، ج1، (د.ط) ،مر،وتق: محمود سيد احمد المجلس الأعلى للثقافة ، 2005، ص 268.

يختلف عن فكر أستاذه الوثني في ثلاث مسائل مهمة ومرتبطة ارتباطا وثيقا وهي: فكرة الفضيلة، والوحدانية، والتباين بين الدنيا والسياسة.[1] ونرى هنا أوغسطين بعد قراءته لمؤلفات شيشرون أصبح تفكيره شيشروني بصورة مباشرة ولكن رغم تشويه مؤلفي شيشرون "الجمهورية" و"القوانين" وعدم صدقها والصعوبات التي سببتها هذه الحالة إلا أنه كان اختلف أوغسطين من عن شيشرون في ثلاث مسائل وهي: فكرة الفضيلة، والوحدانية، والتباين بين الدين والسياسة.

رأينا أن تأثره بشيشرون كان كبيرا في مجال البلاغة أم حيث محبة الفلسفة والأبحاث الفلسفية والمجالات يتضح هذا التأثير أيضا في الفكر السياسي لأوغسطين وخاصة في تعريف العدالة كما في ذلك كله يذكر شيشرون أو يورد نصه أو يكتفي بتحليل النص الشيشروني أحيانا[2].

فكل من شيشرون وأوغسطين يميز القانون الأزلي والدائم بوصفه القانون الطبيعي فان أوغسطين يظهر تفضيلا ملاحظا لتعبير القانون الدائم الأزلي، ولا يشير هذا القانون الدائم فحسب إلى ما يجب على الناس أن يفعلوه أو ما يجب عليه أن يجتنبوه إذا أراد أن يكونوا سعداء أو أخبار فهو يصدر أوامر ونواهي.[3]

يقرر أوغسطين خلافا لشيشرون أن الله يعرف كل الأشياء قبل أن توجد وان الناس يفعلون بإرادتهم الحرة ما يعرفونه ويشعرون أنه يحب عليهم أن يفعلوه لأنهم يرغبون فقط.[4]

[1]– ليوشترواس وجوزيف كروبسي، المرجع السابق، ص 268.

[2]–علي زيعور، الفلسفة في أوربا الوسيطية وعصري النهضة والإصلاح، ص 186.

[3]– ليوشتراوس وجوزيف كروبسي، المرجع السابق، ص 276.

[4]– ليوشتراوس وجوزيف كروبسي، المرجع السابق، ص 278.

عندما عثر أوغسطين على مؤلفات شيشرون التي أثرت فيه تأثير ظاهرا وأضحت معينا ينهل منه آيات الفلسفة والخطابة إذ يقول لنا أوغسطين أن مطالعته كتب شيشرون كانت بمثابة نقطة تحول كبرى في حياته اذ توجه بعها نحو دراسة فلسفية والحكمة.[1]

وبعد أن قرأ أوغسطين أطروحة شيشرون بعنوان "في مدح الفلسفة" شعر بحاجة ملحة إلى البحث بطريقة عقلانية عن ماهية الحقيقة وهنا اعتنق المانوية التي رأى فيها عرضا عقلانيا بخلاف الأفكار المتبربرة غير المنطقية التي تقول بها المسيحية في حين أن المسيحية تقول أن الله خلق العالم وان الله هو الخير كان أوغسطين يتساءل عمن أذن قد خلق الشر والشقاء؟ ولقد وجد أوغسطين الإجابة في أفكار المانوية.

[1]– جاريث ب ، مايثوز، المرجع السابق، ص 25.

الفصل الثاني

القديس أوغسطين وفلسفته السياسية

المبحث الأول: أصل السلطة وطبيعتها

المبحث الثاني: طبيعة المجتمع المدني

المبحث الثالث: مفهوم الدولة والعدالة

تمهيد

كان لفكر القديس أوغسطين أثره البالغ على الفلسفة بوجه عام والفلسفة السياسية بوجه خاص، ولاسيما ما ككتبه حول مفهوم المجتمع والدولة وتداعياتها السياسية والدينية، ورغم أن هذه الأخيرة كانت قد شكلت محور الكثير من الفلاسفة السابقين عليه في الديانة المسيحية، إلا انه استطاع أن يعطي لها مضامين لم تتضمنها الفلسفات السابقة التي تعرضت إلى نفس المسالة، وسيتضح ذلك من خلال المحأور التي بوبنها عليها فكره السياسي .

المبحث الأول: أصل السلطة وطبيعتها

يرى أوغسطين أن المجتمع المدني أو الأرضي إنما يرتبط بالنظام والإرادة الإلهية من أوجه عدة منها :

– إن كل سلطة تنبثق من الله : فمن الله يكون مبدا كل سلطة، وان كان الانسان يتحالف مع قرينه لكي يختاروا زعيما لإدارتهم وهو يؤسس المدينة الارضية، الا انه غير كاف لكسب الشرعية لهذا السلطان من الدقيق ان نقول : ان هؤلاء الحكام يحصلون على وظيفتهم عبر الانتخاب أو الحظ أو الوراثة، ولكنهم لا يكتسبوا السلطة إلا من الله الذي ترك لهم المسببات الثانوية لتقوم بدور التفضيل والاختيار أو الخضوع، بينما السلطة في جوهرها وفي اصلها مستمدة من مشيئة الله [1]يقصد هنا أوغسطين إن مصدر السلطة وطبيعتها تعود الى مشيئة الله وأن الإنسان يرى بإنه يتحالف مع قرينه لكي يختاروا المسؤول وهو رئيس المجتمع، وهناك اشخاص يعتقدون أنهم حصلوا على وظيفتهم بالحظ أو الصدفة أو الوراثة أو الانتخاب ،فالسلطة تفويض الهي .

[1]– علي عبود المحمداوي، المرجع السابق، ص 90.

الله لا يعين هذا النظام من الحكم أو ذاك، ولا يدل على شخصية هذا الرئيس أو ذاك .فهذه الامور تفصيلية، والمهم فيها هو جوهر السلطة الموجود في الوظائف السياسية، وهو جوهر يدين الله بتعيينه وتسميته . في هذا التقسيم بين مادية نظام الحكم ثم جوهر السلطة.[1] . هنا يربط أوغسطين بين السلطة والالوهية، فالله ينظم كل شيء يرفع دولة ويضع دولة اخرى ويعطي لكل واحدة النظام الذي تستحقه .

– الله هو المنظم لكل شيء ولا يترك الناس دون عناية : يعني انه من المستحيل ان يترك ممالك الارض ومدنها بلا

رعاية منه، وحتى صور الاستبداد انما هي بمشيئة من الله وفق عناية وان كانت غامضة لدينا إلا أنها في تصور أوغسطين تحمل حكمة يجب ان تخضع لها.[2] يقصد هنا ان الله لا يترك الدول والأنظمة بلا رعاية منه، فالله ينظم كل شيء، ويعطي لكل دولة النظام الذي تستحقه، وحتى إن ساد هذا المجتمع الاستبداد والحرب فهو قضاء وقدر من الله وفق عناية .

وهكذا فان القديس أوغسطينوس مستند على التراث البولسي يعلم أن سلطات الحاكم الظالم من عند الله، وعلى المسحيين تحمل الظالم لان للظلم غاية حددها الله، ولذا تجب الطاعة لا الثورة . ان الله يعطي للسلطة في حد ذاتها شرعيتها، دون ان يضمن أو يكفل الممارسة الفعلية والواقعية لهذه السلطة . ثم ان كل عمل سياسي يخضع للعناية الربية (الله) من حيث الجوهر ايضا[3] .

[1]– علي زيعور، الفلسفة في أوروبا الوسيطية وعصري النهضة والاصلاح ، ص 178.

[2]– علي عبود، المرجع السابق، ص 90.

[3]– علي زيعور، الفلسفة في أوروبا الوسيطية وعصري النهضة والاصلاح ، ص ص 178،179.

بعد بدايات القرن الرابع كانت الكنيسة المسيحية خاضعة لسلطان الدولة عن طواعية ودهاء معا متبعين القديس بولس* السياسية "لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة، انه ليس سلطان الا من الله والسلاطين الكائنة هي مرتبة من الله، حتى ان من يقأوم السلطان يقأوم ترتيب الله، والمقأومون سيأخذون لأنفسهم دينونة فان الحكام ليسوا خوفا لأعمال الصالحة بل الشريرة، افتري دالا تخاف السلطان، افعل الصلاح فيكون لك مدح منه لأنه خادم الله الصالح، ولكن اذا فعلت الشر فخف، لأنه لا يحمل السيف عبثا، اذ هو خادم الله منتقم للغضب من الذي يفعل الشر لذلك يلزم ان تخضع له ليس بسبب الغضب فقط بل بسبب الضمير . فإنكم لأجل هذا توفون الجزية ايضا، الجزية لمن له الجزية، الجباية لمن له الجباية، والخوف لمن له الخوف والاكرام لمن له الاكرام"[1].

خضوع الإنسان للسلطة الدنيوية يعتبر امتداد لخضوعه لربه، وواجب الطاعة هذا يعود في الأصل إلى التراث اليهودي، حيث نادت اليهودية من قبل بطاعة الملوك الذين يتم تعينهم من قبل الإله وهو أمر لا يتعلق بشخصية الحاكم، بل يرتبط بوظيفته، بغض النظر عما يكون في شخصيته من نقص .

كان من الطبيعي أن يشب النزاع بين السلطتين الدينية والدنيوية، من اجل تحقيق مطالب الكنيسة، والاعتراف بسمو السلطة الدينية على الزمنية، على اعتبار إن الكنيسة في نظر الفكر المسيحي رحمة من الله، في هذا الواقع أصبح تعايش المسيحية مع الملكية الرومانية المطلقة، قائم على فكرة أن كل ما يصدر عن الإمبراطور، يجب ان يعتبر صحيحا ويصادق عليه، كما لو انه صدر بأمر الشعب أمام هذا الواقع لم يكن ممكنا إلا التأكيد على

---

* – بولس : ولد القديس بولس وكان يسمى شاول وهذا اسمه العبراني في مدينة طرسوس بولاية كيليكية، كان بولس ايضا يعتز بانه عبراني من العبرانيين . ينظر : من طرف :Alachoria، قصة حياة القديس بولس الرسول، يوم الاثنين 19 مارس 2012 / 3:20 (نسخة الكترونية).

[1] – نسيبة مزواد، فلسفة الحضارة في فكر القديس أوغسطين، مذكرة ماجستير، اش: حسينة حماميد،قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والاسلامية، جامعة لحاج لخضر باتنة، 2011–2012 ،ص، 32.

واجب طاعة الإمبراطور، مهما كانت أخطاؤه، لأنه ببساطة ممثل السلطة الإلهية "ومن يقأوم السلطان فإنما يعاند ترتيب الله"[1].

كما جاء في تعاليم القديس بولس إنها عبارات قوية تؤسس بمبدأ الطاعة، وأيضا تدعوا لخضوع الكنيسة للدولة مهما كانت طبيعة هذه الدولة وقوانينها، كما هذه التعاليم لم ترى للقديس امبروز* الذي رفض خضوع الكنيسة للدولة . فيرى ان الإمبراطور مهما بلغت عظمته يبقى أنسانا يخطى كما يخطئ الجميع، فوجه انتقادات كثيرة للإمبراطور الروماني ثيودوسيوس**، ولاق هذا النقد تجأوبا بين المواطنين الرومان وأعجبوا بامبروز وساندوه فما كان للثيوديوسيوس إلا إن استسلم لاراءه . "ويمكن القول بان استسلام ثيوديوسيس لمطالب رئيس أساقفة ميلانو يبدو كنقطة تحول في تاريخ العلاقات بين الكنيسة والدولة (...) وعلى الرغم من هذا، دعا الى الاستقلال الذاتي للكنيسة خارج اختصاصات الدولة، لأنهما في التحليل النهائي مؤسستان منفصلتان فالقصور تختص بالإمبراطور، على حين تختص ساند ثيودوسيوس امبروز في التعاليم التي أتى بها والذي كان امبروز يمثل نقطة تحول بين الكنيسة والدولة وان الحكم في الكنائس يكون للأسقف وان الأولوية تكون للكنيسة كما عملت الكنيسة للترويج لفكرة إن الحياة الأرضية الدنيوية، ليست هي الغاية التي تبشر بها

[1]– بن علي محمد، سؤال الإنسان في الفكر العربي الإسلامي والليبرالي الغربي دراسة فلسفية في المفهوم والحقوق، رسالة دكتوراه، اش: بومدين بوزيد، قسم الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ،جامعة وهران–السانيا،2012–2013، ص ص 66،67.

* –امبروز: أسقف ميلانو ولد بين 333 و 340 م في تريفن في اغلب الظن، ومات في 17 كانون الثاني 390م في ميلانو . نشا في اسرة نصرانية شديدة الورع ولكنه لم يقبل المعمودية الا في عام 374 . ينظر :جورج طرابيشي معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، ط3، 2006، ص 93 .

**– ثيودوسيوس :ولد سنة 423م لوادين مسيحيين تقيين في قرية كبادوكية من أعمال موغارياسوس ترعرع في بيت تقي وتعلم الاسفار الالهية منذ حداثته وهو مفكر حذق وخطيب مفوه . ينظر: من طرف Georgette: القديس ثيودوسيوس رئيس الأديار، في 2011/01/22، 8:07 (نسخة الكترونية).

المسيحية، لهذا لا يجب أن يؤسف على خيراتها، أو إن يتألم المرء لآلامها . من هنا تصبح "العبودية من الناحية السياسية، كالفقر من الناحية الاجتماعية والمرض من الناحية الصحية، محنة قد يمر بها الإنسان على الأرض، فهذه كلها الأم جسدية مادية أو ضروب من العذاب الأرضي وتلك هي طبيعة المملكة الدينوية . فلما كان مجال الجسد ومجال الروح مفصولين تماما، فعلينا آلا نبتئس كثيرا لمحن الجسد، ولما كانت ماسي الحياة البشرية هي من صنع البشر وهي تختلف بطبيعتها عما تصنعه السماء، فعلى المواطنين أن يتحملوا حكم البشر، وبالمثل على العبيد أن يتحملوا ما هم فيه"[1] .

اجتمعت السلطات الثلاث الدينية والسياسية والفلسفية على الأسقف وكان أوغسطين نفسه أدى كل هذه المهام منذ آن أصبح أسقفا لهيبونا، هذا الإدراك من جانبه لوضع كل من المسيحية والكنيسة الجديد جعله يسعى جاهدا لتحديد نوعية العلاقة بين الكنيسة (المرئية) والسلطة السياسية أو الدولة . وبالرغم من انه لم يطابق بين الكنيسة المرئية والكنيسة السمأوية مدينة الله من جهة، وبين الدولة ومدينة الأرض من جهة أخرى، فان تصوره للعلاقة بين مدينة الله ومدينة الأرض في كتابه "مدينة الله" كان هو أساس تصوره للعلاقة بين الكنيسة والدولة، وعنده إن السعادة الحقة والسلام الحق لا يمكن إن يتحقق في دولة . ولكن بالرغم من هذا فان أوغسطين الذي عاش مشاكل الكنيسة والمسيحية وتبين له إمكانية مساندة الدولة لهما . دعا إلى علاقة براجمانتية بين كنيسة الله ودولة البشر هي علاقة أساسها التعايش السلمي Modus vurendiمستبدلا هذا التصور بتصور المسيحية السابق لعلاقتها بالدولة[2].

[1]– بن علي محمد، المرجع السابق، ص64.

[2]–زينب محمود الخضيري , لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين , دار الثقافة للنشر والتوزيع , القاهرة , 1992، ص 188.

دعى أوغسطين بعد تأدية مهام السلطات الثلاث إلى تحديد العلاقة بين الديانة المسيحية والدولة حيث توصل إلى هذا التصور من خلال تصوره للعلاقة بين المدينة الأرضية والمدينة الدنيوية، لان الدولة وظيفتها الحفاظ على السلام الدائم وتحقيق العدالة الحقة كما دعي أيضا إلى وجود علاقة بين الدولة والكنيسة لينشا دولة تقوم على السلام والنظام .

يرى أوغسطين إن هذا التعايش السلمي بين الكنيسة (سواء اكانت المرئية أو السمأوية أو مدينة الله) والدولة يفرض واجبات على كل من الطرفين تجاه الطرف الأخر . إن واجب الدولة الحفاظ على السلام والنظام الظاهرين–فالسلام والنظام الحقيقيان لا يتحققان إلا في مدينة الله– وهما ضروريان للغاية لكل المواطنين سواء أكانوا من أبناء مدينة الأرض أم من مرتجلي مدينة الله[1].

استغل القديس أوغسطين انحطاط الإمبراطورية الرومانية وعوضها بسلطة الكنيسة فأصبح رجل الدين لا يهتم بالقضايا الدينية وحسب وإنما السياسية أيضا وهذا ما يؤكد التاريخ من استغلال القديس أوغسطين للسلطة السياسية وإعلانه الحرب عن الحركة الدوناتية* ذات التمرد الديني والدوارية** ذات التمرد الاجتماعي، فالحركة الدوناتية كانت اكثر اعداء القديس أوغسطين من جهة والإمبراطورية الرومانية من جهة أخرى هته الأخيرة التي كانت على وفاق مع الكنيسة الكاثوليكية، فالحركة الدوناتية بعد تبنيها للحركة الدوارية شهدت حروبا عديدة مع الإمبراطورية الرومانية ناقمة على التسلط والاضطهاد في الحكم 340م ومع تزايد عدد الدوارين تزايد الخطر على روما[2].

---

[1]– زينب محمود الخضيري، المرجع السابق، ص 189.

*– الدوناتية :هي فئة تمثل قوة دينية بزعامة دوناتوس في شمال إفريقيا انشقت عن الكنيسة الكاثوليكية لرفضها تدخل الإمبراطور في تخصصات رجال الدين . انظر: نسيبة مزواد، المرجع السابق , ص 78.

**– الدوارية : هي فئة تمثل قوة اجتماعية في شمال إفريقيا، ذوو أصول افريقية قليلة الرومنة تميزوا بأوضاع اقتصادية مزرية اضطرتهم للقيام بحروب ضد الطبقة المالكة لمساعدة المحتاجين. انظر: نسيبة مزواد، المرجع السابق , ص 78.

[2]– نسيبة مزواد، المرجع السابق ،ص 79.

نادت الحركة الدوارية بتحسين مستوى الحياة كأهم مطالبها لكن الحركة الدوناتية كانت لها مطالب مختلفة وعلى رأسها التصدي للتدخل السياسي في الكنيسة وتعاليم المسيحية وخاصة أن زعيم الدوناتية دوناتوس الأكبر صاحب المقولة "ما شان الإمبراطور والكنيسة ؟". رفض فكرة التعايش السلمي الذي ينادي به القديس أوغسطين وعارض الكثير من أفكاره لإيمانه العميق بان الكنيسة إذا خرجت عن إطار تأدية دورها الروحي فقدت حقيقتها التي وضعها الرب فيها، لكن القديس أوغسطين أعطى للموضوع تفسيرا مختلفا في كتاباته المتعددة ضد الدوناتين فيقول :

"ما اكثر الذين عندكم ممن يزعجونكم .

ومع ذلك، فلا تفصلونهم أبدا عن رحمتكم .

إلا أتكلم عن الذنوب التي يمكن إن تنكروها .

ولكن عن الضربات والحرائق وجرائم القتل التي يقترفها ذويكم في وضح النهار .

ومع ذلك، فإنكم تتحملونهم، إما خطا إما خوف"[1] .

وضف فكر القديس أوغسطين في هذه العلاقة بين السلطتين من بعده بشكل موسع لدرجة أنهم نازعوا الإمبراطور واعتمدوا في ذلك على أسانيد عدة من أهمها "مدينة الله" للقديس أوغسطين إذ " اعتمدت البابوية على كتاب مدينة الله لتدعيم موقفها في الصراع مع الإمبراطور، لقد وجدت في هذا الكتاب العديد من الأسانيد التي استندت إليها لإيضاح تفوق مدينة الله، أي الكنيسة وعلى رأسها البابا".وجد القديس أوغسطين في تنفيذ

مهمته المتمثلة في الربط بين السلطتين يسرا نوعا ما وذلك راجع "لتمسك الأباطرة بإدماج الدين في القانون العام للدولة، واجروا ذلك على مختلف وجوه الحياة"[2].

[1]– نسيبة مزواد ,المرجع السابق, ص 79.

[2]– المرجع نفسه، ص 80.

لعل تمسك أوغسطين بعلاقة المسالمة والتعايش السلمي بين الكنيسة والدولة هي خير شاهد ودليل على إن صاحب مدينة الله لم يتصوروا أبدا العلاقة بين مدينة الله ومدينة الأرض على أنها علاقة صراع كما يزعم جل الباحثين .وبالرغم من دعوة أوغسطين للسلبية تجاه ظلم وطغيان واستبداد السلطة إلا إذا اصطدمت بالعقيدة، فانه دعا أبناء مدينة الله إلى المشاركة في الحياة العامة والحياة السياسية وخدمة الدولة. وفي رأى أن أوغسطين تأرجح بين الدعوة للإيجابية والدعوة للسلبية استجابة للظروف التاريخية التي كانت تعيشها المسيحية في عهده، ففي عهده أصبحت المسيحية هي دين الدولة ودين أغلبية المواطنين، فلو انسحبت هذه الأكثرية من المشاركة في الحياة العامة والحياة السياسية لسقطت الدولة وهي مسيحية في نهاية الآمر، ومن هنا دعوته للإيجابية والمشاركة[1]. إيمان أوغسطين بالسلم والنظام والتعايش السلمي بين الكنيسة والدولة جعل العلاقة بين مدينة الله ومدينة الأرض ليست علاقة صراع و دعوته للظلم والاستبداد لم تأثر على البشر في إقامة دولة مسيحية لأنه إذا لم تشارك الأغلبية في خدمة الدولة لسقطت وانهارت .

نرى إن تصور أوغسطين لعلاقة الدولة بالكنيسة يستند إلى فكرة لاهوتية بحتة أرجانا الحديث عنها بهدف إبراز إنها شانها شان كل أفكار أوغسطين في أي مجال تستند إلى مفهومه عن الألوهية، فكل شيء عنده مرجعه إلى الله. أما هذه الفكرة اللاهوتية فهي إن الله خالق كل شيء هو الذي يهب السلطة لمن يريد . وبما أن الأمر كذلك فلابد من طاعة السلطة ومهادنتها حتى لو كانت ظالمة مستبدة لان في عصيانها عصيان لإرادة الله، بل وفي مقأومتها مقأومة لإرادة الله[2].

في الاخير يمكن القول بان صراع أوغسطين مع الدوناتيين لم يكن في الحقيقة صراعا دينيا، كمل يبدو ذلك على المستوى الظاهري ،بل كان صراعا سياسيا واجتماعيا بين انصار

[1]– زينب محمود الخضيري، المرجع السابق، ص 192.

[2]– المرجع نفسه، ص 193.

الرومنة والتطبيع مع الرومان، وكان يتزعمهم في ذلك القديس أوغسطين، وبين أنصار الثورة الذين يدافعون عن المصالح القومية في شمال افريقيا ويحاربون الامبراطورية اللاتينية وعملاءها المهادنين وكل من يقوم بخدمة النظام الروماني ودعم قواته المتوحشة، وكان يمثل هذا التيار الثوري القائد الديني القديس دوناتوس[1].

ومع ذلك، فإننا لا نستطيع أن نتهم القديس أوغسطين بمحاباة الدولة الرومانية على حساب اهل بلاده في شمال افريقيا، إذ أنه من الثابت تاريخيا انه قد مات دفاعا عن وطنه ضد الغزوات الخارجية .الامر الذي يعني ان الهدف من محاربته للدوناتيين ربما كان هو المحافظة على الكنيسة الرومانية باعتبار السلطة الوحيدة التي ينبغي الخضوع لها[2].

[1]– ابراهيم محمد تركي، المرجع السابق، ص 157.

[2]– المرجع نفسه، ص 157.

المبحث الثاني : طبيعة المجتمع المدني

لفهم نشوء المجتمع عند القديس أوغسطين يكفي ملاحظة " حشد عمومي لحضور عمل مسرحي، ويجتمع المتفرجون الذين يجهلون بعضهم البعض دون ان يشكلوا مجتمعا، إلا انه إذا كان احد الممثلين ذا مواهب فان الإعجاب المشترك به يؤلف فيما بينهم تعاطفا متبادلا وإذا صاروا يتبادلون الحب فما ذلك إلا بسبب الممثل الموهوب الذين اشتركوا في حبه "[1]. يقصد هنا أوغسطين إن المتفرجون لا يعرفون بعضهم البعض لكن إذا أعجبوا بالممثل أكثروا من التصفيق له واجتمعوا واشتركوا في حبهم للممثل وأصبحوا يحبون من يصفق ويكرهون من لا يصفق ومنه فان المجتمع هو جماعة من الناس اجمعوا على حب واحد لموضوع معين .

هكذا فان الحب لشيء ما يولد عفويا مجتمعا مؤلفا من جميع الأفراد الذين يشتركون في حبه ويبتعدون عن من لا يحبونه ومن يحب الله فانه يجد نفسه بحكم هذا الأمر في علاقة مجتمعية مع سائر من يحبه ومنه فان الحب في نظر أوغسطين هو " الرابطة الاجتماعية والصلة بين الإفراد والمؤسس للمجتمع "[2] . نرى هنا ان أوغسطين اجمع على انه اذا اشترك جميع أفراد المجتمع على حب شيء ما ويشتركون في الآراء والمشاعر والأحاسيس التي تقوم على الرضا والمحبة ويهدفون الى غايات مشتركة فإنهم يشكلون "مدينة" .

ويرى ان بتعدد أنواع الحب المشترك تتعدد أنواع المدن أي ان عدد المدن يسأوي عدد أنواع الحب، حيث ان في الانسان نوعين من الحب فانه يجب ان يكون هناك بالطبع مدينتان تنظمان وحدهما سائر المجتمعات البشرية. لكل مجتمع غاية واضحة يشترك فيها

[1]– علي زيعور، الفلسفة في اوروبا الوسيطية وعصري النهضة والاصلاح، ص 177.

[2]– المرجع نفسه، ص 177.

كل أعضائه – ذلك ان ما يحبه المجتمع هو ما يحبه الافراد – هي السلام وما الحروب الإقامة السلام وليست هي للحروب والسلم الحقيقي هو الذي يشبع مشيئات كل افراد المجتمع[1] .

دخل الشر الأرض بمعصية ادم ،فتفرق الناس طوائف كل منها يسعى لخير ما، إذ ليس المجتمع حشدا من أناس يجهل بعضهم بعضا ،كما يتفق لشهود التمثيل قبل بدايته، وإنما المجتمع اشتراك في الفكر والعاطفة ،كما يشترك شهود التمثيل في الإعجاب بممثل فيؤلف هذا الإعجاب منهم وحدة معنوية [2] .إذ عندما يبحث أوغسطين في المدينة الأرضية من حيث أنها مجتمع مدني، وبالتالي في جانبها السياسي، فإنها يراها ويعرفها فقط كما كان يفعل شيشرون "فالشعب كثرة يوحدها ارتضاء القانون ذاته والتشارك في المصالح ذاته ،فهو يعطي هنا نظاما طبيعيا للشعب"[3] .

المجتمع مهما كان طبيعيا، فهو مرتبط بالنظام الإلهي بطرق مختلفة كل سلطة تاتي من الله، لا يبدو أوغسطين بعيدا عما اثر عن بولس[4]، قد يقال أن لب نظرية أوغسطين السياسية هو تعليمه الخاص بالفضيلة، التعليم الذي يمتلك جذوره في كل من التراث الفلسفي وتراث الكتاب المقدس. وان الإنسان بطبيعته بحيوان اجتماعي، المزود وحده بالكلام، الذي يستطيع بواسطته ان يتواصل، وينخرط في علاقات متعددة مع الآخرين ولا يبلغ الإنسان كماله إلا عن طريق ارتباطه مع اقرأنه وتكوين مجتمع سياسي معهم [5] . الإنسان يولد

[1]– علي زيعور, الفلسفة في أوروبا الوسيطية وعصري النهضة والإصلاح، ص 177.

[2]– يوسف كرم، المرجع السابق، ص .48

[3]– جان توشار، تاريخ الأفكار السياسية من اليونان إلى العصر الوسيط ،تر: ناجي الدرواشة، ط1، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر ، دمشق، سوريا، 2010، ص 169.

[4]– المرجع نفسه، ص 170.

[5]– ليوشتراوس وجوزيف كروبسي، المرجع السابق، ص 269.

صفحة بيضاء لا يعرف شيء ومع انخراطه في المجتمع يتعلم الكلام ويستطيع التواصل مع الناس من خلال الكلام ومن هنا يستطيع تكوين مجتمع.

يرى أوغسطين ان العدالة هي حجر الأساس للمجتمع المدني، فعليها تعتمد وحدة أي مجتمع بشري ونبله وتحافظ على السلام، الخير العام للمجتمع، وشرط كل المنافع الأخرى التي يحصل عليها المجتمع ،وبدون السلام أي النظام الهادئ، لا يستطيع أي مجتمع ان يزدهر، أو حتى يبقى .

يرى أوغسطين ان الطبيعة البشرية مكونة من عنصرين هما الجسد والروح، ومن هذه الطبيعة المزدوجة، تكون الأمور مقسمة إلى قسمين، دينية مصدرها الجانب الروحي ودنيوية مصدرها الجانب الجسدي . ولهذا يقول أوغسطين "...وبالرغم من التنوع الهائل لأمم المتعددة في الأرض، لكل منها عاداته وتقاليده، ولغته وأسلحته وملابسه المتباينة للغاية فانه يمكننا القول مع الكتاب المقدس، انه لا يوجد إلا فريقان من البشر أو مدينتان، واحدة هي مدينة البشر الذين يريدون العيش وفقا للجسد، والأخرى مدينة البشر الذين يعيشون وفقا للروح"[1].

من هنا نرى ان المجتمع يعيش في صراع بين الجانب الروحي والجانب الجسدي وان كل شخص له عاداته وتقاليده يقوم عليها ."فالشعب هو تجمع العديد من الكائنات الرشيدة، متحدين في الأخوة، نتيجة حب مشترك لنفس الأشياء "[2].

يميز القديس أوغسطين بين نوعين من القوانين في المجتمع : أولا القانون الأبدي الله موجود ومطلق، وهو مبدآ كل قاعدة وكل قياس وكل نظام وكل انسجام وكل عدد وكل وزن ،يدبر مخلوقاته حسب القوانين الاحكم، والاعقل، والأوفق لها . وهو يرعى الإنسان كما

[1]– بن على محمد، المرجع السابق، ص 64.

[2]– المرجع نفسه، ص 64.

يرعى العصافير، والارواح، وحبة الرمل عنايته تشمل كل شيء، وتشع في الكون بآسره وإذا تأملنا الواقع، وجدنا الآثام والأحزان و الآلام ... مما يجعل البعض يزعمون عدم وجود الله محتجين بهذه السلبيات . وان القانون البدي قانون ثابت، لا يتغير بحسب المكان والزمان فهو منقوش في وعي الإنسان، وينير هذا الوعي كما ينير النور الالهي العقل[1]. كان القانون الأبدي أساس المجتمع لأنه يمثل الله وهو موجود في كل مكان وزمان وهو مدبر للكون يقوم بحماية الإنسان والحيوان .

وهذا القانون نوع من الزواجر والروادع الامرية التي هي من الضمير، وهذه القواعد ذات بداهة واضحة تستكشف بالعقل وهي الزواجر ذاتها التي نراها للضمير الأخلاقي، وللشرائع المتغيرة التي وان تغيرت بالفعل لتتلائم مع المتطلبات والاحتياجات فإنها في حد ذاتها تصدر عن قاعدة واحدة لا تتغير، يعني ان القانون الطبيعي يعود إلى قاعدتين : لا تفعل بالغير ما لا تريد ان يفعل الغير بك، يجب أن يأخذ كل ذي حق حقه ،ومن صفات هذا القانون صفة الوجوب والإلزام فيه : انه آمر لا يترك مجالا للاختيار، فالله يدبر العالم بشكل مطلق وتام،

ومشيئته هي القاعدة لكل المشيئات البشرية التي عليها ان تفعل الخير لا إن تقف ضد إرادة الله، وإرادته وعقله شيئ واحد ،والصفة الثانية في القانون الطبيعي هو انه مرغوب وقادر على أن يثير الإنسان ويحركه ،أي انه يفتح المجال للمبادرة الشخصية ولا يلغيها[2].

ثانيا : القانون الزمني : الإنسان كائن اجتماعي ،وأول رابطة طبيعية تقوم بين الزوج وامرأته، ثم تضاف إلى هذه رابطة تنشا بولادة الأطفال، وبوجود الخدم فان العائلة تكون منزلا. والمنزل هو النواة الأولى للمدينة، ويؤلف مجموع المدن الجنس البشري ،وهذا الجنس

[1]– علي زيعور، الفلسفة في أوروبا الوسيطية وعصري النهضة والإصلاح ، ص ص 179 ،180.

[2]– المرجع نفسه، ص ص 179، 180.

مع الملائكة والله يؤلف العالم . إذا نظم كل واحد أفكاره وأعماله وفق تعاليم القانون الطبيعي، فانه السلام يسود الكون قاطبه .والقانون الزمني قد شرع حماية للنظام من الفاسدين والمخربين الذين بزرعهم الفوضى، وبعدم انتظامهم يمزقون العقد العام في المجتمع[1] . القانون الزمني في نظر أوغسطين هو عبارة عن سلسلة من الفرد تتشكل الأسرة ثم المجتمع ثم العالم لكن الله هو الخالق لكل شيء ،وان الأشخاص إذا ساروا على التعاليم التي أتى بها الله فان الكون يسود فيه النظام والسلام .

كما نجد القديس أوغسطين يكرر دائما عبارة بقول القديس بولس بان كل سلطة تكون من الله، وان من يقأومها يقأوم نظام الله . فالأمير وزير الله، ولذا فمن الضروري طاعة ذلك الوزير ونجد أن القانون الزمني أداة ضرورية للحكم ولإدارة الأسرة والمدينة، لمنه عاجز على أن يعطي الناس السلم والفضيلة، والدليل على نقصه هو روما آنذاك وماهي فيه من سوء مع إنها أعطت الشرائع للعالم[2]. أوغسطين يتبع دائما القديس بولس في أن الله مصدر كل سلطة وابسط مثال عن ذلك نجده ينزل المطر من السماء غلى الأشرار والصالحين، لذا وجب على كل شخص طاعة الأمراء .

يصدر القانون الزمني عن القانون الطبيعي الأبدي، ويجب بالتالي أن يهدف إلى سيطرة العدالة، لا إلى خدمة الحاكم وتأييد الظلم والقوة. وهو يقوم لخدمة المجتمع وتامين النظام فيه، ولذلك فعلينا إطاعته كما سبق القول. وعليه هو أيضا ان يكتفي بتامين الهدف المجتمعي والسياسي لا ان يتنأول امورا يجب أن يحاسب الله عليها . فليس عليه مثلا أن يعاقب على ما نقترفه من مخالفات لا تضير الغير ولا المجتمع. ولذا فان نطاقه محصور، واضيف بكثير من نطاق القانوني الأبدي المنقوش في النفوس . والخلاصة إن القانون الوضعي أو الزمني يتغير بتغير الأزمان والأوضاع، لكنه يبقى صادرا عن قاعدة واحدة لا

[1]– علي زيعور , الفلسفة في اوروبا الوسيطية وعصري النهضة والإصلاح ، ص 180.

[2]– المرجع نفسه، ص 181.

تتغير[1]. من خلال القوانين التي وضعها الله يصدر القانون الزمني ويجب أن تسود فيه العدالة والسلم والنظام لكي يقوم المجتمع على الاستقرار والأمن وعلى الفرد أن لا يقوم بأمور خارج القانون في الأخير يحاسب عليها من الله وان القانون الزمني يتغير بتغير الزمان والمكان عكس القانون الأبدي الذي لا يتغير .

[1]– علي زيعور،الفلسفة في اوروبا الوسيطية وعصري النهضة والاصلاح ، ص 181.

المبحث الثالث : مفهوم الدولة والعدالة

يتحدث أوغسطين عن الدولة، فيقول إن الدولة لا تنشا عن عقد، ولا تنشا كذلك عن خطايا الناس، وإنما تنشا عن الغرائز الموجودة في الطبيعة الإنسانية . ولهذا فالدولة ضرورية ،وليست شيئا عرضيا[1]. وقد عرفها أوغسطين في كتابه بأنها " إلا تجمع لكثرة تريد إن تعيش بموجب قانون مرضى به، في إطار من المصالح المشتركة ،وهذا ما يسمح له أن ينسب إلى الشعب الروماني أو يرفض له، بحسب ظروف وجوده الخاصة، مايجعله شعبا يكون دولة "[2]. ويعرفها أيضا بأنها " مجموعة عاقلة تتوحد حول تملك مشترك وهادئ لمن تحب، وإذا أراد إنسان أن يعرف شعبا ما عليه بكل تأكيد أن يتأمل فيما يحب، ولكن أيا يكون موضوع حبه واجتمعت مخلوقات عاقلة دون الحيوانات وارتبطت فيما بينها في تملك مشترك وهادئ لما تحب، حق لها شرعا اسم دولة ،وتكون دولة ممتازة إذا كانت المصلحة التي تجمع بين أفرادها شريفة والعكس صحيح أيضا"[3]. يرى أوغسطين أن هي مجموعة من الأشخاص يحكمها قانون يطبق على الجميع لتحقيق مصالحهم وان الشعب هو الذي يكون الدولة ويجب ان تكون المحبة بين الأشخاص وكلما كانت المصالح المشتركة بين الناس قائمة على السلم والنظام وقانونية تكون الدولة في تقدم وازدهار مستمر والعكس صحيح .

لم يهتم القديس أوغسطين بتحديد نظام حكم معين فلا يهم أن يكون الحكم جمهوريا أو إمبراطوريا أو ملكيا أو ديمقراطيا فهو "لم يقدم لها شكلا محددا ولكنه يركز على أن من واجب حاكم الدولة إقامة العدل بين الناس"[4]. يرى هنا أوغسطين انه ليس بالضرورة وضع

[1]– عبد الرحمن بدوي، المرجع السابق ، ص 38.

[2]– أوغسطين، مدينة الله ،تر: يوحنا الحلو ،مج 3، دار المشرق ،بيروت ،لبنان، ط2، 2007، ص 101.

[3]– المصدر نفسه، ص ص 161،162.

[4]– نسيبة مزواد، المرجع السابق، ص 66.

حكم معين للدولة ولم يهتم لآي حكم معين لكنه ركز بشكل كبير على انه من واجب الشخص الذي يحكم الدولة أن يعدل بين الناس.

في نظر أوغسطين أن المثل الأعلى للدولة إنما هو المثل المسيحي، وهذه الدولة التي يتصورها هي التي تستمد سلطتها من الله مباشرة . ومعنى ذلك إنها لن تكون دولة علمانية خالصة، بل ستكون دينية كذلك ،لكنها أيضا

لن تكون دينية خالصة، بل جامعة للطابع العلماني والطابع الديني . ومعنى هذا أن هذه الدولة سيكون من مهمتها الأصلية، ما يتصل بالحياة الدينية، أي أنها ستعمل من اجل تحقيق السعادة على الأرض وتحقيق السعادة في الآخرة بالنسبة للمواطنين[1]. ونجد أوغسطين في كتابه مدينة الله يقول أيضا "إذا وجب الوصول الى شيء من التجانس والتوافق بين أصوات مختلفة ومتنافرة في الآلات الموسيقية حتى على حساب السمع المرهف وان كان تعيين النغم يوحد بين الأصوات الأكثر تباينا فمن الضروري استمراريتها التي لا يمكن أن تتحقق بلا عدالة "[2] . شبه أوغسطين التجانس في المجتمع بالتجانس بين الأصوات في الآلات الموسيقية لان التجانس والعدل مفروض في المجتمع بين الطبقات لأنه الضامن لاستمرارها .

يرى أوغسطين أن البعض يعتقد إن تعاليم المسيحية مخالفة لمقتضيات الدولة، فهي تقول بعدم مقأومة الشر، وبعرض الخد الأيمن للصفع بعد الخد الأيسر، وبإعطاء ستة لمن يسال خمسة ،والحقيقة إن المسيحية إذا فهمت على وجهها عادت على الدولة بما لم تعرفه الدولة الرومانية نفسها في أزهى أيامها من القوة والفلاح، ما الدولة إن لم تكن جماعة متآلفة. أحيانا يخالف الواقع تعاليم المسيحية إلا إن هذه الأخيرة ساهمت في نشر السلم والنظام

[1]– عبد الرحمن بدوي، فلسفة العصور الوسطى ، ص ص 38، 39.

[2]–أوغسطين، مدينة الله، ج1، ص 91.

والمحبة بين الأفراد لتقوية العلاقات فيما بينهم واجتناب الظلم والاستبداد لتأسيس دولة مثالية على أخلاق مسيحية.

ونجد أوغسطين يعرف الدولة عن طريق الاقتباس من شيشرون أنها "مجموعة من الناس يربطها تسليم عام بالحق ومجموعة من المصالح"[1] . ويصر على انه لا يمكن لدولة أن يجري فيها القانون بدون العدالة ،لأنه حيثما لا تكون هناك عدالة، لن يكون هناك حق والعكس صحيح .

إن رؤية أوغسطين للدولة، هو لا يراها إلا فيما اسماه "مدينة الله "، والتناقض الذي يقع فيه هنا هو أن هذه المدينة كما حدثنا عن صورتها لا يمكن إن تكون موجودة على الأرض فأهل هذه المدينة وان عاشوا على الأرض

في حياة مشتركة مع مواطني المدينة الأرضية إلا أنهم يعيشون فيها كالغرباء الذين ينتظرون بفارغ الصبر العودة إلى أرضهم واصلهم[2]. كما يمكن تحديد العلاقة بين الدولة والكنيسة في نظر أوغسطين، فالكنيسة تشرف على الدولة من اجل توجيهها إلى الحياة الآخرة . والدولة تساعد الكنيسة على تحقيق إغراضها[3]. يرى أوغسطين هنا إن كل شخص يجب عليه العيش في مدينته لأنه قد تعود على عاداتها وتقاليدها وانه إذا انتقل إلى مدينة أخرى لا يستطيع التأقلم فيها ،كما يرى أيضا انه لا يمكن الفصل بين الدولة والكنيسة بل ربطهما ببعضهما ربطا محكما لكي يضمن السلام والهدوء للدولة .

إن ابرز ما استحدثته أفكار أوغسطين هو تصوره لفكرة مجموعة الأمم المسيحية، بالإضافة إلى فلسفته التاريخية التي تصور هذه المجموعة على إنها ذروة تطور الإنسان

[1]– لشتراوس وجوزيف كروبسي، المرجع السابق، ص 269.

[2]– مصطفى النشار، ص186.

[3]– المرجع نفسه، ص 189.

الروحي، وأصبح هذا الفكر جزءا أساسيا من الفكر المسيحي وقد تحكمت هذه الفكرة في عقائد المفكرين الكاثوليك والبروتستانت على السواء[1]. ويؤكد أوغسطين على إن الدولة يتعين عليها أن تكون مسيحية تخدم مجتمعا تربطه العقيدة المسيحية المشتركة ويتجه هذا المجتمع بفضل هذه العقيدة إلى حياة تسمو فيها العناية بالروح على آية عناية أخرى[2].

نجد أوغسطين تحدث عن العدالة وعرفها "على علاقة الإنسان بالله ،فالعدالة داخل الفرد بين قوتي الخير والشر لن تتحقق بتلبية مطالب النفس خاصة الشهوانية منها، بل تستحق في حالة الصلة الطيبة بين الإنسان والله، إي إن العدالة الإنسانية أساسها العودة إلى الله والالتزام بكل جوانب العقيدة الدينية إذ إن جوهر العدالة – فيما يقول أوغسطين – يكمن في العلاقة بين المرء والرب وتنبثق عنها بالتأكيد العلاقات السليمة بين الإنسان والإنسان" . فالعدالة لن تتحقق من خلال الإنسان فقط بل من خلال علاقته بالله .

يقول أوغسطين "العدالة هي هذه الفضيلة التي تعطي كل واحد حقه . فما هي إذن تلك العدالة في الإنسان التي تسرقه من يد الله لتجعله عبدا للأرواح الشريرة ؟ هل يعني هذا إعطاء كل ذي حق حقه . الإنسان الذي يسرق شيئا من شخص أخر قد اشتراه ليعطيه لمن لا حق له به هو ظالم، والإنسان الذي يخرج عن سلطان الله خالقه ليجعل ذاته عبدا للأرواح الشريرة، يكون على حق"[3] . يقصد أوغسطين هنا إن العدالة هي التي تعطي الأشخاص حقوقهم وان الإنسان إذا اخذ حق شخص أخر فانه ظالم .

يقيم أوغسطين تمييزا بين العدالة لدى الفرد والعدالة في الدولة تأثرا بأفلاطون، والانسجام المتوخي لديه، شبيه بانسجام أجزاء الجسم الإنساني، فإذا تحققت العدالة وعم السلام بين أعضاء الجسم الاجتماعي، يمكن القول "إن الغاية الأساسية للتجمع البشري قد

[1]– نور الدين حروش، تاريخ الفكر السياسي، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 2012، ص 135.

[2]– المرجع نفسه، ص 136.

[3]– أوغسطين، مدينة الله ،ج3 ، ص 151.

أنجزت وتحققت . وكذلك يميز أوغسطين بين العدالة الاجتماعية والعدالة المطلقة . لان مواطن مدينة الله يعرف غالبا من العدالة التي يطبقها في بلده الخاص، ويتوافق مع قوانين هذا البلد، ويحأول فقط نشر السلام المدني في العلاقات بين الأمم[1]. يقول أوغسطين "ان العدل والشرف كانا يحكمان بواسطة الضمير كما يحكم القانون "[2].

لقد دافع أوغسطين على مجموعة الأمم المسيحية، أي اتحاد الدول التي تعتنق المسيحية كديانة لها، هذا إيمانا منه إن الدول غير المسيحية عجزت وتعجز عن إقامة العدالة، وبهذا يعترض اشد الاعتراض آراء شيشرون وغيره من مفكري ماقبل المسيحية الذين زعموا إن إقامة العدالة هي وظيفة أية مجموعة الأمم أو وظيفة الدولة بغض النظر عن عقيدتها، فيرى بان العدالة لا يمكنها إن تتحقق مادامت الدولة غير مسيحية وبالتالي من اجل تحقبق هذه العدالة يجب أن تكون الدولة مسيحية، وانه من المغالطة يقول بان الدولة قادرة إن تعطي كل ذي حق حقه إذا كانت هذه الدولة نفسها لا تعطي حق الله أو بعبارة أخرى لا تعطي الله نفسه حقه في العبادة[3].

يرى أوغسطين إن العدالة الحقة هي العدالة المسيحية لأنه إذا كانت الدولة غير مسيحية لا تتحقق فيها العدالة الدولة .

الدولة الحقة هي التي تقوم فيها العقائد على أسس من التعليم والتي تحافظ على سلامة هذه العقائد، ولا يمكن بعد الآن أي بعد ظهور المسيحية أن ترتقي أية دولة إلى مرتبة الدولة الحقة مالم تكن مسيحية ولا تستطيع أية حكومة ليس لها صلة بالكنيسة أن تكون عادلة. وان القانون الوضعي فهو أساس الحياة الاجتماعية يضعونه الناس من عندهم ولكن لا يكون مناقضا مع القانون الإلهي ويحترمونه وقد ظهرت ضرورته نتيجة اختلال الإنسان

[1]– علي عبود المحمداوي، المرجع السابق، ص 89.

[2]– أوغسطين، مدينة الله، ج1، ص 83.

[3]– نور الدين حروش، المرجع السابق، ص ص 136، 137 .

وخطاه منذ أن عصى ادم ربه[1]. يرى أوغسطين أن الدولة المسيحية هي القادرة على إقامة العدالة وإحقاق الحق ومن جهة أخرى تظهر أفكار أوغسطين مثالية لأنها تدعو إلى الفصل بين الخير والشر وبين الفضيلة والرذيلة وبين حب الذات والأنانية الفردية وحب الله الموطن الحقيق في المدينة السمأوية [2].

[1]– نور الدين حروش، المرجع السابق، ص 137.

[2]– المرجع نفسه، ص 137 .

الفصل الثالث :

المدينتان والتباين بين الدين والسياسية

المبحث الأول : مدينة الله

المبحث الثاني : المدينة الأرضية

تمهيد:

هاجم أوغسطين الدين الوثني وبلغ ذروته، كما نجده ساهم في نظرية المدينتين، حيث نجد أن البشرية تعرف إلى مدن وأمم كثيرة وتختلف كل مدينة وكل أمة عن الأخرى بوضوح عن طريق العادات والتقاليد واللغة، وطريقة العيش في الحياة، كما نجد في الكتاب المقدس لا يميز إلا بين نوعين من المدن ينتمي إليهما كل الناس في جميع الأزمنة وهما: مدينة الله والمدينة الأرضية، وأن هذا التقسيم يقيم على الحب، لأن هناك نوع أول هو حب الذات لدرجة احتقار الله وهو ما ولد المدينة الأرضية، وحب الله لدرجة احتقار الذات وهو ما نتج عنه مدينة الله، ولهذا نشأت مدينتان ترجع إليهما سائر المجتمعات البشرية، ونجد القديس أوغسطين يقول في كتابه مدينة الله:" ومع أن الأمم المنتشرة فوق سطح الأرض متنوعة المعتقدات والعادات واللغات والأخلاق والسلاح بشكل غريب، فلا تكون سوى مجتمعين بشريين يسميهما الكتاب المقدس مدينتين، مدينة البشر للذين يهوون العيش بسلام بحسب الجسد، ومدينة الله للذين يهوون العيش بسلام بحسب الروح، وحين تتحقق أمنية هذه وتلك تعيش كل منهما بسلام بحسب طريقتها الخاصة"[1].

[1]– أوغسطين، مدينة الله ، ج2، ص156–157.

المبحث الأول: مدينة الله:

يقول أوغسطين:" قابين إنه بنى مدينة وظل هابيل سائحا على وجه الأرض ولم يبني شيئا لأن مدينة القديسين في السماء، إن تكن تلدها من مواطنين، ويبقى أعضائها في الملقى حتى قيام ملكوتها، عندما تنهض أجسادهم من التراب يدخلون الملكوت الذي وعدوا به ليملئوا فيه، مع سيدهم، ملك الأجيال"[1]، وكان يرمز إليها بأورشليم(القدس) قبل مجيء السيد المسيح، وهي صارت طائفة المسيحيين ليست هي على الأرض إلا في الحج أو في المنفى، تسمى بالمدينة السماوية، وتعمل على أن تجعل العدالة مسيطرة، وقد فيض الله لكنيسة أن تبني هذه المدينة، وهو يساعدها على ذلك، تخضع لله، هادئة، مسالمة، تفضل الحقيقة على المدائح الخادعة، تريد للغير ما تريده لنفسها، تحب الجار وتقدره، وإنها مدينة المسيح: رئيسها ومؤسسها المسيح، إنها مدينة الايمان، والشعوب المؤمنة، والأناس الورعين[2]. يقصد بهابيل أنه كان مواطنا مدينة الله ومخلصا لله ولم يفعل أي شيء من أجل مدينة الله، لأن مدينة الله كانت في السماء، حيث قدم الكثير من أجل المدينة ورضي لنفسه بالقليل.

تعتبر أورشليم المقدسة ممثلة المدينة السماوية إذ تذكر كثيرا من النبوءات أن مدينة الله التي ستتحقق في آخر الزمان سوف تتجسد في أورشليم، وقد أخذت أورشليم قدسيتها لأنها مدينة داوود عليه السلام فقد جعلها مركزا لملكه، ومن بعد داوود جعلها سليمان مركزا لملكه يعتقدون بأن الله يسكن الهيكل فمدينتهم أصبحت مقدسة بقدسية الهيكل، ويرى أوغسطين أنها نبوءة صريحة عن أورشليم العليا التي تتخذ الله جزءا لها، أورشليم تلك تضع خيرها السامي، وكل خيرها في الرب، لتكون له،(.....) يسمى الكتاب أورشليم مدينة الله، ويعلن عن أن بيت الله سيرتفع في حصنها[3]. يقصد أوغسطين بأورشليم بالله الذي يحكم العالم، لأن سكان مدينة الله لا ينتمون إلى أورشليم فقط بل ينتمون إلى عالم بأكمله، لكن سكان مدينة الله لا

[1]– [1]– أوغسطين، مدينة الله ، ج2، ص217.

[2]– علي زيعور، الفلسفة في أوروبا الوسيطية وعصري النهضة والإصلاح، ص165.

[3]– نسبية مزواد، المرجع السابق، ص38–39.

يمكن معرفتهم لأنهم من الخارج يظهرون بشكل وهم بداخلهم عكس ذلك لأنهم يخفون حقائقهم.

نجد أن مدينة الله تضم بين جنباتها كل الذين يربط بينهم حب الله أي كل الذين يعيشون عيشة الإنسان الجديد الملتزم بشريعة الله، حيث يقول:" قسمنا الجنس البشري إلى طائفتين أولئك الذين يحيون حياة الإنسان وهؤلاء الذين يحيون حياة الله وأطلقنا على الفريقين اسما رمزيا هو المدينتان ونعني بهما مجتمعين بشريين أحدهما قدر له أن يعيش للأبد مع الله، والآخر قدر له أن يتحمل عذابا أبديا مع الشيطان"[1].

كما نجد أن المدينة السماوية تحيا بالإيمان، فإنها لا تستخدم هذا السلام إلا عند الضرورة، بانتظار أن يزول منها كل ما هو فان، وفي ذا حافز لها وهي بمثابة الأسيرة في مدينة الأرض، وأن المدينة السماوية لا تعرف سوى إله واحد، تؤمن أنه له وحده تجب العبادة، فالمدينة السماوية تستخدم السلام الزمني وأشياء أخرى ترتبط ارتباطا وثيقا بطبيعتنا الفانية، وهي جد مرتاحة لأن يعيش الناس في وفاق تام، بقدر ما يسمح به الدين والبر[2].

يقصد أوغسطين بأن مدينة الله تقوم على الإيمان وان مدينة الله يحكمها إله واحد ويجب على مواطني مدينة الله عبادة إله واحد وهذه المدينة تتبع الشرع والدين لكي يعيش الناس وفق أمان واستقرار تام.

من الواضح جدا أن مرجع أوغسطين التاريخي فيما يتعلق بمدينة الله هو الكتاب المقدس وحده، ليس هذا فحسب بل إنه عد هذا الكتاب هو النص الوحيد الذي يقدم لنا من خلال ما يقدمه من تاريخ، صورة ما ستكون عليه الإنسانية في المستقبل والغاية التي نسير إليها، ومدينة الله هي جسم المسيح الذي ينمو مع الأيام حتى يكتمل نموه في الوقت المحدد

[1]– زينب محمود الخضيري، المرجع السابق، ص167.

[2]– هنري، ايرينيه مارو، المرجع السابق، ص108–109.

له سلفا، فكل جيل، وكل عصر، وكل حضارة، تساهم في النمو من خلال المسيحيين الحقيقيين أبناء مدينة الله الذين ينتمون للقطيع، واكتمال مدينة الله هو نهاية التاريخ[1].

كما نجد أوغسطين استخدم تشبيه الإنسان الواحد،أو جسم المسيح الذي ينتشر في كل الأرض والذي ينمو على مر العصور، ليعبر عن مفهوم وحدة مدينة الله وتلك الوحدة التي سبق وأن وجدنا أن دعامتها الحب المشترك الذي يشارك فيه كل أبناء مدينة الله ذلك الحب الذي حدده المسيح وسأله واحد.... يا معلم أيم وصية هي العظمى في الناموس، فقال له يسوع :"تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك"، ويقول أوغسطين:" إن أبناء مدينة الله(السماء) هم أخوة في سلام دائم لا يتحكم فيه حب الإرادة الشخصية والخاصة بل تسوده تلك الفضيلة التي تجعل الجماعة قلبا واحدا والتي تحقق الوحدة الكاملة ألا وهي طاعة التقوى"[2]، يرى أوغسطين أن الحب الذي ينشأ بين الأفراد هو الذي يشكل المدينة لكن الحب يحدده المسيح وخلال هذا الحب يكون السلام الدائم في المدينة.

ولقد شاع بين الباحثين أن مدينة السماء تتكون في رأي أوغسطين من الذين أنعم الله عليهم بنعمة الخلاص فأخرجهم من كتلة البشرية الآثمة إلا أن حقيقة الأمر غير ذلك، فمدينة السماء تتكون عنده فضلا عن هؤلاء من الملائكة الذي لم يبتعدوا أبدا عن الله وإذا كنا نستخدم في التعبير عن مدينة السماء للدلالة على البشر من أبنائها دون الملائكة فذلك لأنهم هم الذين يعنونا في معالجتنا للاهوت، ويطلق أوغسطين أحيانا على أبناء مدينة السماء الذين يريدون الحياة الروحية اسم أبناء الله يقول عنهم:" إن أبناء الله FILLII PEI يصارعون الموت طوال حياتهم الفانية"[3]، يرى أوغسطين أن مدينة الله تتكون من الملائكة الذين يفقون دائما مع الله وليس من البشر على عكس ما كان يعتقد بعض الباحثين وأبناء هذه المدينة أصبحوا أبناء الله.

[1]– زينب محمود الخضيري، المرجع السابق، ص170–171.

[2]– المرجع نفسه، ص171.

[3]– زينب محمود الخضيري، المرجع السابق ص172.

أبناء مدينة السماء لا فضل لهم في كونهم كذلك، فالله هو الذي– لأسباب نجهلها– أنعم عليهم بلطفه دون سواهم، أي دون من تركهم منغمسين في الخطيئة، يقول:" إن أم أبناء مدينة السماوات هي اللطف الذي خلص الطبيعة (الإنسانية) من الخطيئة"، كما ميز بين المدينة السماوية الأبدية المستمرة حتى الآن وبين جانبها المتجلي في أبناء لها يعيشون في الحياة الدنيا في كل لحظات التاريخ مما يجعل الدنيا لا تخلو أبدا عبر التاريخ من أبناء المدينة السماوية[1]. كان أوغسطين يرى أن البشر الذين يعيشون في مدينة السماء ليس لهم الفضل في تركهم لارتكاب الأخطاء بل الله هو السبب في ذلك، وكان دائما الذي خلص البشر من الوقوع في الخطيئة.

كما نجد أوغسطين يحدد موقع مدينة الله بأنها ليست مدينة منفصلة أي أنها توجد جنبا إلى جنب مع المدن الأخرى، وتؤسس على قانون إلهي على طريقة الحكومة الدينية اليهودية، وكذلك نجد أوغسطين يقول أن مدينة الله ليست سوى مجموعة من أتباع المسيح، والعابدين للإله الحقيقي، إنها تتكون من أناس إلهيين، وقد توصف حياتها كلها بأنها حياة الإذعان الورع لعالم الله توجد فيها، وفيها فقط العدالة الحقيقية ولأن نموذج مدينة الله موجود في السماء، ولأن حالتها الكاملة لا تتحقق إلا في حياة أخرى، فإنها تسمى أحيانا بالمدينة الإلهية، لكن من حيث ان الناس عن طريق تمسكهم بالمسيح لديهم الآن إمكانية أن يعيشوا صنوفا من الحياة الفاضلة الحقيقية[2]، يقصد أوغسطين أن مدينة الله توجد على الأرض توجد بجانبها مدن أخرى، لذا لا يمكن أن تختلط هذه المدينة مع مدينة أفلاطون المثالية التي لا وجود لها إلا في الفكر والكلام، وأن مدينة الله تقوم وفق قانون إلهي، وإنها ترجع دائما إلى إله يحكمها.

[1]– المرجع نفسه، ص 173.

[2]– ليوشتراوس وجوزيف كروبسي، المرجع السابق، ص288.

نجد القديس أوغسطين يوجد أحيانا مدينة الله بالكنيسة، وذلك يتضح من بعض أقواله أنه ليس كل شخص يكون عضوا من أعضاء الكنيسة المرئية من الناحية الرسمية ينتمي إليها، وعلى عكس كثير من الأشخاص الذين لا يدعون الإيمان المسيحي هم أعضاء للمدينة المقدسة نفسها، دون أن يعرفوها، إن كل شخص يعكف على تعقب الحقيقة والفضيلة، قد يفترض أنه مواطن من مواطني مدينة الله بصورة ضمنية، وأي شخص يتخلى عن الفضيلة من أجل الرذيلة يستبعد منها لهذا السبب[1]. يرى أوغسطين أن مدينة الله هي الكنيسة، ويجب على كل مواطن أن يتبع قوانينها لكي لا يستبعد منها.

تظل الواقعة التي تقول إنه يمكن للمرء من حيث أنه عضو من أعضاء مدينة الله فقط وعن طريق علاقته بنظام يجاوز المجال السياسي أن يحقق السلام والسعادة للذين يطمح إليهما كل الناس، حتى الأشرار، ولا يعني ذلك أن مدينة الله تبطل الحاجة إلى المجتمع المدني، فليس غرضها أن تستبدل المجتمع المدني وإنما أن تكمله عن طريق تزويده فضلا عن المنافع التي يمنحها بوسائل تحقيق هدف أسمى من أي هدف يمكن أن يسعى إليه مجتمع مدني[2]، يقصد أوغسطين هنا أنه لا يمكن لأي شخص من مدينة الله أن يحقق السعادة، وأن مدينة الله تراقب المجتمع المدني وليس غايتها أن تغيره للوصول إلى غاية وهدف أسمى، ولأنه لا يمكن الاستغناء عن المجتمع المدني نفسه، لأنه يقدم الخيرات التي يحتاجها البشر على الأرض.

لا يمكن أن تلقى المواطنة في مدينة الله المواطنة في مجتمع دنيوي مؤقت وإنما تحافظ عليها وتكملها، وما هو مطابق تماما لموقف أوغسطين هو المواطنة التوأم الدقيقة التي يدرج عن طريقها المرء بوصفه عضو من أعضاء مدينة الله دون أن يتوقف عن تنظيم حياته الدنيوية المؤقتة داخل إطار المجتمع المدني، ووفقا لمعاييره وإلى الحد الذي يتخلص لهذا

[1]– ليوشتراوس وجوزيف كروبسي، المرجع السابق، ص288–289.

[2]– المرجع نفسه، ص289.

الموقف من سلطة المدينة ويحتفظ بجزء أساسي من حياة الإنسان من أجل سلطة أعلى، فإنه يمثل انتقالا من التراث الكلاسيكي لكن من حيث إنه يزعم أن يزود بحل[1].

[1]– ليوشتراوس وجوزيف كروبسي، المرجع السابق، ص289.

المبحث الثاني: المدينة الأرضية

يعتبر أوغسطين أن المدينة الأرضية هي موطن السلطات السياسية بأخلاقها، وتاريخها، ومتطلباتها.... لا مدينة من هذا النوع يمكن أن تكون كاملة، تساند الظلم، وهي في حرب دائم مع الأولى أنها بابلية، مدينة الأشرار، الحب فيها غير نقي، في خلاف مع الله، حسودة، تود إخضاع الغير، وتخضع الجار والقريب لأغراضها، تجتمع تحت قيادة الملائكة الأشرار وستدوم في النار، إنها مدينة الشيطان، وأشرة الناس الذين لا يعيشون بالإيمان أو مدينة الشعوب الكافرة[1]. يرى أوغسطين أن المدينة الأرضية جاءت مخالفة تماما لمدينة الله.

كما أننا لا نجد فكرة أوغسطين جديدة فقد كانت موجودة، على الأقل في شكل بذوري، في أصلها، في تراث القديس بولس وأوريجين*، لكن الحقيقة أن القديس أوغسطينوس أعطاها قيمة توضيحية، وشكلا عاما وجعل منها قانونا عاما، واحديا... وهي عنده فكرة تتحكم في مجرى التاريخ، وتفسر لنا الأحداث[2].

نجد القديس أوغسطين يعرفها بقوله:" مدينة تقع أسيرة التسلط من خلال رؤسائها وانتصاراتها على سائر الأمم، ومدينة تقدم لنا مواطنيها موحدين بالمحبة.... وأن حكماء المدينة الأولى، إذ يعيشون بحسب الجسد، لا يطلبون الخير إلا في ذواتهم: خير الجسد وخير النفس، خير الجسد والنفس، والذين منهم قد عرفوا الله" فقد عرفوه وما مجدوه كإله ولا شكروه، بل سفهوا في أفكارهم وأظلمت قلوبهم الغبية وزعموا أنهم حكماء فسيطرت عليهم كبرياؤهم التي تمادت في ما سموه حكمة وأصبحوا حمقى، وهذا المجد لا يحق إلا الله غير

---

[1]– علي زيعور، الفلسفة في أوروبا الوسيطية وعصري النهضة والإصلاح، ص175.

* – أوريجين: جون سكوت أوريجينا John Scotus Origena: (810 تقريبا، 877 تقريبا): أحد الفلاسفة المدرسيين عاصر الكندي أول الفلاسفة المسلمين، استقدمه ملك فرنسا من وطنه إيرلندا فقصد باريس ونزل في البلاط وعلم بمدرسته. أنظر: ابراهيم مصطفى ابراهيم، المرجع السابق، ص28.

[2]- المرجع نفسه ، ص ص 175 ، 176

قابل للفساد، استبدلوه بشبه صورة إنسان ذي فساد، وحيوانات وطيور وزحافات لأنهم قادوا الشعوب وابتعوها إلى مذابح الأصنام واتقوا المخلوق، وعبدوه، دون الخالق، الذي هو مبارك إلى دهر الدهور"[1](رومة1/21-25).

مدينة الأرض لها مؤسس فعلي حيث يقول أوغسطين:" أول مؤسس لمدينة الأرض هو قاتل أخيه، لقد وقع ضحية الحسد فقتل أخاه مواطن المدينة السماوية"[2]، ودليله على ذلك قوله:" إنما ليس بين الأخوين قابين وهابيل عداوة صادرة عن رغبة في أمور الأرض، والحقد المميت لا يصدر عن الخوف من أن يقاسمه الآخر السلطة(هابيل لا يفكر بالتسلط على المدينة التي يبنيها أخوه) بل من ذلك الحسد الجهنمي الذي يبعثه الشيطان في نفوس الأشرار ضد الصالحين، دون أي سبب سوى الصلاح في هؤلاء والشرفي أولئك"[3]، يقصد هنا أوغسطين أن مؤسس مدينة الأرض هو قابين أخوه هابيل مؤسس مدينة الله لكن أخوه قتله كان ضحية الحسد الذي كان يحمله له أخوه، ولم يكن بينهم عداوة إلا بأمور تخص الأرض، كما نجد أن سكان مدينة الأرض غير ثابتين لأن إرادة الإنسان متغيرة.

ونجد الكثير من المواطنين يتقربون من الله بتقديم القرابين في اعتقادهم أنهم يستطيعون كسب مساعدة الله لهم للوصول إلى السلطة ونجد ذلك في قول أوغسطين: "وتلك هي حال من يفضلون ما يريدون على ما يريده الله، نابذين الاستقامة، عائشين في فساد قلوبهم يتقدمون إلى الله القرابين، معتبرين أنهم من خلال ذلك يكتسبون مساعدة الله، لا لكي يشفوا من أمراضهم الروحية، بل إشباعا لرغباتهم الأثيمة، تلك هي صنعة أبناء مدينة الأرض،

[1]- أوغسطين، مدينة الله، ج2، ص212.

[2]- المصدر نفسه، ص221.

[3]- المصدر نفسه، ص222.

يخدمون الله أو الآلهة لينالوا، تحت رعايتهم، ما يتوقون إليه من انتصارات والسلام الأرضي الذي يصبون إليه، عن شهوة التسلط لا بدافع من المحبة"[1].

مقر مدينة الأرض هي بابل أين كان كل من على وجه المعمورة على لسان واحد، ويروي لنا الكتاب المقدس قصتها:" وكانت الأرض كلها بلغة واحدة وكلاما واحدا،وكان أنهم لما رحلوا من المشرق وجدوا بقعة في أرض شنعار فأقاموا هناك، وقال بعضهم لبعض تعالوا نصنع لبنا وننضجه طبخا، فكان لهم اللبن بدل الحجارة والجمر كان لهم بدل الطين، وقالوا تعالوا نبني لنا مدينة وبرجا، رأسه إلى السماء، ونقم لنا اسما لكي لا نتبدد على وجه الأرض كلها، فنزل الرب ينظر المدينة والبرج الذي كان بنو آدم يبنونه وقال الرب هو ذا شعب واحد ولجميعهم لغة واحدة وهذا ما أخذوا يفعلونه والآن لا يتفنن عما هموا به حتى يصنعوه، هلم نهبط ونبلبل هناك على وجه الأرض كلها وكفوا عن بناء المدينة، ولذا سميت بابل، لأن الرب هناك بلبل لغة الأرض كلها ومن هناك شنتهم الرب على كل وجهها"[2].

كما نجد أوغسطين يقول عن مواطني مدينة الأرض يأخذون حقوق غيرهم لأنفسهم إذ" قد تنقسم المدنية عادة على ذاتها، عراك ومناوشات دامية وانتصارات قتالة، أو على الأقل، معدة للموت، أيا يكن الجزء منها الذي ينهض وبيده السيف، ليحارب جزءا آخر منها، فإنها تسعى إلى النصر، بينما لا تزال أسيرة رذائلها، إن انتصرت وتباهت في كبريائها، فالنصر يؤدي إلى الموت"[3]، يقصد هنا أوغسطين أن كل مدينة إذا قامت على حساب مدينة اخرى واعتقدت أنها تعيش في سلام واستقرار فإن مصيرها الزوال، لأن الاستقرار الذي عاشته هو استقرار مؤقت غير دائم.

[1]– أوغسطين ، مدينة الله ، ج2، ص226.

[2]– المصدر نفسه، ص120.

[3]– نسيبة مزواد، المرجع السابق، ص44.

كما نجد أن المدينة الأرضية يرشدها ويوجهها حب الذات، والتي تعيش وفقا لما يسميه الكتاب المقدس بشهوات الجسد، ويجب ألا يؤخذ اللفظ" شهوات الجسد" في هذا السياق بمعناه الضيق، من حيث إنه لا يشير إلا إلى الجسد ولذات الجسد، فهو يرادف في استخدام الكتاب المقدس الإنسان الطبيعي، ويضم كل أفعال الإنسان ورغباته إلى الحد الذي لا تخضع فيه لله من حيث إنه غايتها الأسمى، إنه لا ينطبق فحسب على الشخص بالشهواني الذي يضع خيره الأسمى، إنما ينطبق أيضا على كل أولئل الذين ينغمسون في الرذيلة، وينطبق حتى على الإنسان الحكيم من حيث إن طلبه للحكمة يبعث عليه حبا زائف، أو حب الذات، وليس حب الحقيقة[1]، يرى أوغسطين أن المدينة الأرضية يتملكها حب الذات على عكس مدينة الله التي يتملكها حب الله، كما نجد المدينة الأرضية بمعناها الواسع، والأكثر شمولا تتميز بتصنعها للاستغلال الكامل، والاكتفاء الذاتي، وتصور نفسها بأنها النقيض الخالص لحياة الطاعة(أي الأم والحارس للفضائل)، والنقيض الخالص للخضوع المعظم لله[2].

كما نجد أن المدينة الأرضية تحيا بالإيمان وإنها تبحث عن السلام الزمني وتضعه هدفا وحيدا في الوفاق الذي تسعى إلى إقامته بين مواطنيها، تنشأ فيهم إرادة موحدة تمكنهم من سهولة التمتع بالراحة والملذات، ويرى أوغسطين أن في مدينة الأرض بعض حكماء ممن أدان الكتاب حكمتهم لأنهم زعموا عن تصور خاطئ، أو بفعل خداع إبليس، أنه ينبغي التشفع لدى آلهة كثيرين، متسلطين على أشياء شتى، واحد على الجسد وآخر على الروح، وفي الروح أيضا، واحد على الفكر وآخر على الحكمة أو على الغضب أو على الحب، والآخر يسري على شؤون الحياة، فهذا للقطعان وذاك للقمح أو الكرمة[3].

ونجد أوغسطين يقول عن أبناء مدينة الأرض بأن أهم خاصية مميزة لهم أنهم يسعون لغاية واحدة هي السعادة الدنيوية على الأرض، وهذه الغاية هي العامل المشترك الذي يجمع

[1]– ليوشتراوس وجوزيف كروبسي، المرجع السابق، ص288.

[2]– المرجع نفسه، ص 288.

[3]– هنري– إيرينيه ومارو، المرجع السابق، ص108–109

بينهم في مجتمع واحد بالرغم من تنوع الأشياء المادية لا يهدأ أو ليس له حد فما أن يلبون شهوة من شهواتهم حتى تبرز لهم شهوة أخرى عليهم إرضاؤها[1]الهدف والغاية التي كان يسعى إليها أبناء مدينة الأرض هي الوصول إلى السعادة وكانت العامل المشترك بينهم.

يطلق أوغسطين على أبناء مدينة الأرض اسما معبرا تماما عن حقيقتهم فهم ال Amaricantes أي الحياة المرة، وتفسيرا لذلك نقول أن أوغسطين كان يفسر الآية ومن الإصحاح الأول من سفر التكوين وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء في مكان واحد ولتظهر اليابسة بأن المياه فيها ترمز للحياة الدنيا بكل مرارتها، وأبناء مدينة الأرض في نظر أوغسطين يحبون حياة الإنسان القديم Vetushemo أي حياة ما قبل الشريعة اليهودية، أي ما قبل التمييز بين الخير والشر، أي حياة الإنسان الأرضي[2].

كما نجد أوغسطين في اعترافاته مستخدما تشبيه أبناء مدينة الأرض بالمياه المرة أو مياه المرارة(في مقابل تشبيه أبناء مدينة الله بالأرض العطشى لله) يقول من الذي جمع في كتلة وحيدة مياه المرارة amaricantes فكلها لها نفس الغاية السعادة الزمنية، الأرضية التي من أحبها يفعلون أي شيء مهما تنوعت إلى ما لانهاية الدوافع التي تحركهم، ومدينة الأرض هذه ليست مغتربة على هذه الأرض في هذا العالم فهو مجالها التي تجد فيه راحتها وسعادتها[3].

يرى أوغسطين أنه إذا كانت المدينة الأرضية لا تطابق الدولة فإن العلاقة بينهما وبين أي دولة أوثق من العلاقة بين مدينة الله والدولة، ولعل مما يوقع قارئ أوغسطين في حيرة أن العديد من نصوصه تحدث عن دول وممالك هذا العالم باعتبارها تنتمي لمدينة الأرض، وتطلق على الدولة اسم المدينة في كثير من الأحيان كأن تقول عنها" هي مدينة هذا العالم

[1]– زينب محمود الخضيري، المرجع السابق، ص165–166.

[2]– المرجع نفسه، ص166.

[3]– المرجع نفسه، ص166،167.

civitatemmundihuius" وأعظم دولتين عنده هما أشور تليها روما الأولى في الشرق والثانية في الغرب، تحدث عنهما أوغسطين باعتبارهما جزءا من مدينة الله قاصدا بهذا روح سياستهما وتوجيهاتهما العامة، مما يجعلهما تنتميان لمدينة الأرض من حيث هما كيانات سياسية دون أن يعني هذا أنهما كبشر تنتميان لهذه المدينة[1].

كان منطقيا أن ينسب أوغسطين مدينة الأرض للشيطان حتى يبرز المقابلة بينها وبين مدينة الله وإن فعل ذلك في مرات معدودة حصرنا منها خمس، أربعة منها في مدينة الله، ولهذا قال:" فإن الشيطان أمير المدينة الفاسدة بالرغم من استخدامه لشركائه ضد مدينة الله المرتحلة في هذا العالم ليس لديه المقدرة على إيذائها"، أما المرة الخامسة ففي كتابه: الموجز" عندما قال:" ولكن بعد البعث عندما ينتهي الحساب الختامى، ستتحدد الحدود بين المدينتين وإحداهما تنتمي للمسيح unascilicetchristi والأخرى للشيطانalteradaiboli"[2].

باعتبار أن أوغسطين اعتبر أن الشيطان هو أمير المدينة الأرضية إلا أن هناك من يعارضه في ذلك لأنهم اعتبروا أن الشيطان ما هو إلا عدو للإنسان، واعتباره عدو الله فهو مجرد مبالغة وتجاوز للحدود، لذلك لا يمكن للشيطان أن يرأس مدينة وهذه المدينة هي مدينة الأرض المقابلة لمدينة الخير التي يرأسها الله.

يرى أوغسطين أنه لا يمكن اعتبار مدينة الأرض هي مدينة الشر لأن الشر عند أوغسطين نقص في الوجود وليس مبدءا إيجابيا وبالتالي لا يصلح أساسا لمدينة تنسب له، لقد اختار أوغسطين تعبير مدينة الأرض للدلالة عليها إلا نادرا ولذا لا نملك إلا احترام هذا الاختيار وأي ممحاولة لتأويل النصوص بشكل مخالف من شأنها أن تنال من رؤية أوغسطين لتلك المدينة[3].

---

[1]– زينب محمود الخضيري، المرجع نفسه، ص167–168.

[2]– المرجع نفسه، ص168.

[3]– علي زيعور، الفلسفة في أوروبا الوسيطية وعصري النهضة والإصلاح، ص176.

وفي الأخير نتطرق إلى العلاقة بين المدينة الأرضية ومدنية الله، حيث نجد أنهما وجدا في أول الزمن مع بعضهما، وهما يتعايشان حتى مجيء الدينونة ولكنهما بحالة حرب، وبعد ذلك تزول المدينة الأرضية، وتبقى الأخرى خالدة خلود القديسين وبالطبع المدينتان متناقضتين فهما تقومان على مبدأين متقاربين تماما(حب الذات، حب الله)، لكن هذا التناقض لا ينفي تداخلهما في هذا العالم في البدء، كانوا بني إسرائيل ممثلو المدينة الأولى، وباقي الشعوب هم المدينة الثانية، ولما جاء المسيح انتهى التمايز هذا، وعادتا إلى الاختلاط كما كانتا منذ الخليقة حتى مجيء إبراهيم، واليوم هما ملتقيتان، تنتفع المدينة السماوية من خيرات المدينة الأرضية، وتشاركان إلا أن خيور الأولى هي وسائل لكسب العيش، وللمحافظة على الفرد والنوع، ولتحقيق الخير الأسمى الذي هو السعادة الممزوجة بالفضيلة[1].

هذا ما يقود إلى علاقة الكنيسة بالدولة والتراتيب بينهما: يضع القديس أوغسطين بوضوح الكنيسة في المرتبة الأعلى(وهو ما سيستعمل من بعده لتقوية سلطتها) ويعطيها الأولوية، كما أنه أيضا يدعو النظام الزمني للانتفاع من تعاليمها والاسترشاد بغايتها النبيلة، وجد البعض، أو ظن أنه وجد، في هذه الازدواجية فكر القديس أوغسطين المانوي أو الاثنينية المانوية التي تشاد عليها العقيدة بكاملها، وذهب بعض المؤرخين إلى درجة دمج فيها المشكلة الثيولوجية في هاتين المدينتين مع المشكلة التي كانت قائمة في عصره بين الكنيسة والدولة[2].

الحقيقة أن تلاميذ أوغسطينوس من بعده هم الذين وسعوا الهوة بين المدينتين أو أنهم جعلوا من المدينة الأرضية مدينة للشيطان، أما هو فقد لطف من حدة الاثنينية هذا قائلا بأن الله وحده هو الذي يميز بينهما وبأن المدينة الأرضية ليست كلها سيئات ونقائص، ما يقال فيها هو أن أمجادها زائلة وأن ماهو على الأرض من فخار وسلطان وما أشبه أشياء غير

[1]–علي زيعور ، الفلسفة في أوروبا الوسيطية وعصري النهضة والإصلاح، ص 176.

[2]– المرجع نفسه، ص176.

دائمة، وان مزاياها ليست بمزايا وحقائق المدينة الإلهية، وهنا نرى أنه يقترب من المنظور الأفلاطوني للخيور بقدر ما هو في الآن عينه، مانوي التفكير والتقييم، وأن الفرق بين المدينتين فرق في الجوهر[1].

ومن جهة أخرى، إن جعل النظرية الأوغسطينية في المجتمع والسياسة انعكاسا لواقع سياسي هو إفقار لفكرة إفقارا إلى حد بالغ، وإعادة ما هو فكري صرف إلى مادي واقعي، وما هو واسع وشامل إلى الضيق والمحدود والقول بتأثير متبادل ومتداخل، قول سليم لا يلغي إمكان الجدلية بين المحايث والمتعالي أو بين المطلق والنسبي، بين المثالي والمؤسس النافذ[2]

[1]–علي زيعور ، الفلسفة في أوروبا الوسيطية وعصري النهضة والإصلاح، ص176، 177.

[2]– المرجع نفسه، ص177.

خاتمة

الخاتمة :

ومن خلال بحثنا توصلنا إلى مجموعة من النتائج من أهمها:

_ كان القديس أوغسطين من اكبر الفلاسفة اللاهوتيين النصارى في العصور الوسطى، قدم الدين على الفلسفة أو النقل على العقل وكانت مقولته الشهيرة "امن كي تتعقل"، سعى نحو توظيف الفلسفة الهلينستية لدعم العقائد النصرانية ،وهو قمة شامخة في العصور الوسطى .

_ وكان في بداية حياته مهتما بالخطابة ومواد أخرى وعلم فيما بعد الخطابة وأصبح أستاذا بارعا فيها، واليونانية لم يكن يحبها في طفولته أيام التعلم، لكنه في الأخير أصبح يفهم هذه اللغة ،حيث عاد إلى نصوص الكتاب المقدس المكتوبة بها .

_ بحثه عن الحقيقة نقله من الفتى الطائش والمتتبع لشهواته ورغباته إلى المانوية ثم انتقل إلى الشكاك ومن هنا انتقل إلى الأفلاطونية ثم اهتدائه إلى العقيدة المسيحية .

_ تأثر القديس أوغسطين بالعصر اليوناني (أفلاطون) حيث كان هناك مجموعة من الفلاسفة يعتقدون أن الأفلاطونية هي التي قادت القديس أوغسطين إلى المسيحية، بالإضافة إلى العصر الروماني تأثر به بعد قراءته لكتاب شيشرون المتضمن دعوى لدراسة الفلسفة فنشا حبه للحكمة أي الفلسفة .

_ أصل السلطة وطبيعتها عند القديس أوغسطين ترجع الى الله فهو الذي تنبثق من كل سلطة وهو المنظم لكل شيء ولا يترك اي شخص دون عناية، حيث كانت الكنيسة المسيحية خاضعة لسلطان الدولة، حيث كانت الكنيسة في نظر الفكر المسيحي رحمة من عند الله، حيث عملت الكنيسة على ترويج فكرة ان المسيحية ان الحياة الارضية الدنيوية ليست هي الغاية التي تبشر بها المسيحية .

_ المجتمع عند أوغسطين ينشا عن الحب لشيء ما ويكون هذا الحب عفويا، ويرى بان انواع المدن يساوي عنده انواع الحب، وان المجتمع مهما كان طبيعيا فهو مرتبط بنظام الهي

بطرق مختلفة وان الطبيعة البشرية مكونة من عنصرين الجسد والروح ومن خلال هذا تكون الامور مقسمة الى قسمين دينية مصدرها الجانب الروحي ودنيوية مصدرها الجانب الجسدي . من خلال هذا نجد المجتمع يعيش في صراع دائم .

_ نستنتج أن الدولة عند أوغسطين هي مجموعة من الأشخاص يحكمهم قانون واحد يطبق على الجميع لتحقيق مصالحهم، وان الدولة هامة في حياة الناس للحفاظ على المجتمع وهذه الدولة ليست إلا حقيقة متغيرة ومؤقتة . غير أن أوغسطين لم يكن مهتما بنظام الحكم معين ولم يقدم لها شكلا محددا إلا انه ركز على إقامة العدل بين الناس من طرف حاكم الدولة. وان المثل الأعلى للدولة هو المثل المسيحي . و العدالة كانت داخل الفرد بين قوتي الخير والشر وهي التي تعطي الفرد حقه .

_ وأخر نقطة هي أن هناك مدينتين هما المدينة الأرضية وهي حب الذات إلى حد احتقار الله ومدينة الله وهي حب الله إلى حد احتقار الذات وهما مدينتان ترجع لهما سائر البشرية وكانت بين هاتين المدينتين حرب تجاهد الواحدة في سبيل العدالة وتعمل الأخرى على نصرة الظلم

_ ينقسم تاريخ المدينتين إلى وقتين المدينة السماوية يمثلها بنو إسرائيل، والمدينة الأرضية تشمل باقي الإنسانية حتى بلغت ذروتها في الإمبراطورية الرومانية

_ حيث كانت العلاقة بينهما علاقة صراع وتناقض وان الفرق بين المدينتين هو فرق في الجوهر كما نجد إن المدينة السماوية تنتفع من خيرات المدينة الأرضية، كما نجد إن خيرات مدينة الله هي وسائل لكسب العيش ولتحقيق الخير يجب على المدينتين الوصول إلى السعادة الاسمي الممزوجة بالفضيلة .

تم بحمد الله

قائمة المصادر والمراجع:

أولا : قائمة المصادر

1) : أوغسطين ، مدينة الله ، تر: يوحنا الحلو ،ط2 ، دار المشرق ، بيروت ،لبنان ، 2007م.

2) : أوغسطين ، الاعترافات ، تر : الخوري يوحنا الحلو ، ط4 ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، 1991 م.

ثانيا : قائمة المراجع

1): إبراهيم مصطفى إبراهيم ، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم ، (د.ط) ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، إسكندرية ،(د.ت) .

2): احمد محمد وقيع الله ، مدخل الى الفلسفة السياسية ، رؤية اسلامية ، ط1 ، دار الفكر ، دمشق برامكة ،2010م .

3): بدوي عبد الرحمن ، فلسفة العصور الوسطى ، ط3 ، وكالة المطبوعات ،الكويت ، دار القلم ، بيروت_لبنان ، 1979م.

4): بوجوان وجونو ، تاريخ الفلسفة والعلم في أوروبا الوسيطية ، تر: علي زيعور ،(د.ط)، علي مقلد ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت_لبنان ،1993م.

5): توشار جان ،تاريخ الأفكار السياسية من اليونان الى العصر الوسيط ، تر: ناجي الدرواشة ، ط1 ، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر ، دمشق_سوريا ، 2010م.

6): تركي إبراهيم محمد ، مدخل إلى الفلسفة المسيحية في أوروبا إبان العصر الوسيط ، ذ:ط ، دار الكتب القانونية ، (د.ت) .

7): حروش نور الدين ، تاريخ الفكر السياسي ، ط3 ، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2012 م.

8): حافظ اشرف ، معالم الفكر الأوروبي في العصر الوسيط ، ط1 ، دار طبية للنشر والتوزيع والتجهيزات العلمية ، القاهرة ، 2004م.

9): الخضيري زينب محمود ، لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين ،(د.ط) ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1992م.

10): زيعور علي ، الفلسفة في أوروبا الوسيطية وعصري النهضة والإصلاح ، (د.ط) ، المكتب العالمي للطباعة والنشر والتوزيع ، 1998م.

11): زيعور علي ، اوغسطينوس ، ط1 ، دار اقرأ ، بيروت_لبنان ، 1983م.

12): عريب مختار ، الفلسفة السياسية من المفهوم الكلاسيكي إلى البيواتيقا ،(د.ط) ، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع ، الابيار_الجزائر ، 2009م.

13): كرم يوسف ، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط ، دار هنداوي ، القاهرة ، مصر ، 2012م.

14): كروبسي وليوشتراوس جوزيف ، تاريخ الفلسفة السياسية ، تر: محمود سيد احمد ، ج1 ،(د.ط) ، مر و تق: محمود سيد احمد ، المجلس الأعلى ، 2005م .

15): محمد علي محمد ، محمد علي عبد المعطي ، السياسة بين النظرية والتطبيق ، (د.ط) ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت_لبنان ،1985م.

16): محمد عويضة محمد كامل ، أوغسطين فيلسوف العصور الوسطى ، (د.ط) ،دار الكتب العلمية ، بيروت_لبنان ، 1993م.

17): ماثيوز ، جاريث ب ، أوغسطين ، تر: ايمن فؤاد زهري ، ط1 ،دار أفاق للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2013 م.

18): المحمداوي علي عبود ، الفلسفة السياسية ، ط1 ، دار ومكتبة عدنان ، بغداد ، 2015م .

19): مارو_هنري ايرينه ، القديس اوغسطينس والاوغسطينية ، تر: سعد الله سميع جحا ، ط1 ، دار الشرق ، بيروت_لبنان ، 2007 م.

20): النشار مصطفى ، تطور الفكر السياسي القديم من صولون حتى ابن خلدون ، ط1 ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1999م.

ثالثا: الموسوعات والمعاجم

1): بدوي عبد الرحمن ، موسوعة الفلسفة ، ج1 ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1984 م.

2): حسيبة مصطفى ، المعجم الفلسفي ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان_الأردن ، 2012م.

3). صليبا جميل ،المعجم الفلسفي ، ج2 ، (د.ط) ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت_لبنان ،1982م .

4): طرابيشي جورج ، معجم الفلاسفة ، ط3 ، دار الطليعة ، بيروت ،2006م

5): فؤاد كامل واخرون، الموسوعة الفلسفية المختصرة ، مر و اش: زكي نجيب محمود ،(د.ط) ، دار الحكم ، بيروت_لبنان، (د.ت) .

6): مدكور إبراهيم ، المعجم الفلسفي ،(د.ط) ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، 1983م .

رابعا: المذكرات

1): مزواد نسيبة ، فلسفة الحضارة في فكر القديس أوغسطين ، مذكرة ماجستير، اش: حسينة حماميد ، قسم العلوم الإنسانية ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والإسلامية ، جامعة الحاج لخظر باتنة ، 2011_2012م.

2): محمد بن علي ، سؤال الإنسان في الفكر العربي الإسلامي واللبيرالي الغربي دراسة فلسفية في المفهوم والحقوق ، رسالة دكتوراه ،اش: بومدين بوزيد ، قسم الفلسفة ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ، جامعة وهران_السانيا ، 2012_2013 .

خامسا: نسخ الكترونية

1): من طرف : alachoria، قصة حياة القديس بولس الرسول ، يوم الاثنين 19 مارس 2012 /3:20 (نسخة الكترونية)

2): من طرف : georgette ، القديس ثيودوسيوس رئيس الأديار ، يوم 22 جانفي 2011 / 8:07 (نسخة الكترونية)

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	
شكر وعرفان	
مقدمة	أ
الفصل الأول: الخلفية الفكرية لرؤية أوغسطين السياسية	07
المبحث الأول: مفهوم الفلسفة السياسية	07
المبحث الثاني: أوغسطين(حياته ونشأته)	13
المبحث الثالث: الفكر اليوناني والروماني وأثره في فكر أوغسطين	23
الفصل الثاني: القديس أوغسطين وفلسفته السياسية	33
المبحث الأول: أصل السلطة وطبيعتها	33
المبحث الثاني: طبيعة المجتمع المدني	42
المبحث الثالث: مفهوم الدولة والعدالة	48
الفصل الثالث: المدينتان والتباين بين الدين والسياسية	55
المبحث الأول: مدينة الله	56
المبحث الثاني: المدينة الأرضية	62
خاتمة	71
قائمة المصادر والمراجع	74
فهرس الموضوعات	79